أصولُ ومطالبُ الإصلاحِ في القرآنِ الكريمِ ومحوريتهُ في النَّهضةِ الحسينيةِ الشريفة

المدرس المساعد
محمد رضا مطر الشريفي
المركز الوطني لعلوم القرآن ـ بغداد
alshareifmr@yahoo.com

المقدمة:

إن الكتابة والبحث في شأن الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام هي شرف للكاتب ونفع للقارئ، مع ما فيها من بهجة وسرور لكليهما، لكنها تطيب وتزداد بركتها أكثر عندما تقترن بذكر القرآن الكريم وتنطلق من التدبّر في آياته، وكيف لا يكون ذلك؟! وقد قرن رسول الحقّ محمد صلى الله عليه وآله بين كتاب الله و أهل بيته الأطهار عندما جعلهما خليفته في أمته وتركته لملته، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولأن نهضة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام هي نهضةٌ إصلاحية بجميع مفاهيمها ومطالبها كان من الواجب على الباحث أن يتتبع أصولها من القرآن الكريم لتكون تلك النهضة مثلا عمليا متعاليا لما جاء في الكتاب العزيز من تأصيل لمفهوم الإصلاح بميادينه الرحبة وآفاقه الواسعة ومراميه الممتدة، وقد انطلق البحث من هذه الفذلكة فجاء على مبحثين رئيسين هما:

المبحث الأول الموسوم: (أصول الإصلاح ومطالبه في القرآن الكريم) وقد تعرض الباحث فيه لبيان مكانة الإصلاح في القرآن، وصفات وشروط المصلح في الإسلام، ثم بيان مراتب الإصلاح، وقد حفل هذا المبحث بعشرات الآيات الكريمة للاستدلال على ما تحصل لدى الباحث من مفاهيم ومقولات.

المبحث الثاني الموسوم: (محورية الإصلاح في النهضة الحسينية الشريفة) ودار البحث فيه حول منابع السمة الإصلاحية في شخصية الإمام الحسين عليه السلام، ومطالب الإصلاح في النهضة الحسينية الشريفة، وهما الإصلاح الديني والإصلاح السياسي والاجتماعي، وأفاد الباحث في مجمل بحثه من عشرات المصادر والمراجع في الحديث والتفسير والتأريخ والعقيدة

واللغة، والتي لم تقتصر على تيار أو مذهب معين طلبا للشمول والموضوعية.

وأخيرا فإني لأرجو أن يكون في عملي هذا قربة إلى الله تعالى ووفاءً لرسوله وأهل بيته الأطهار - عليهم الصلاة والسلام جميعا - وإضافة إلى جهود الباحثين في تأريخهم المجيد، وإنه قد جاء بنتائج ذات جدوى بهذا الصدد، والله أسال أن يسدد خطانا لما فيه رضاه وصلاحنا، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

أصول الإصلاح ومطالبه في القرآن الكريم

أولاً: مكانة الإصلاح في القرآن الكريم.

الإصلاحُ لغة مأخوذ من الفعل صَلَح يَصْلَحُ ويَصْلُح صَلاحاً وصُلُوحاً، فيقال رجل صالح في ذاته ومصلح في أعماله إذا طلب بها صلاحا لنفسه أو غيره[1] والصَّلاح ضدّ الفساد، والإصلاح: نقيض الإفْساد[2] والصلاح يعني الاستقامة على ما تدعو إليه الحكمة ويعني التغيُّر إلى إستقامة الحال ولهذا لا يقال لله تعالى صالح، والصلاح وضع الشئ على صفة يُنتفع به سواء انتُفع به أو لا، كما إن الصلاح يكون في الضرِّ والنفع، كالمرض يكون صلاحا للإنسان في وقتٍ دون الصحة، وذلك أنه يؤدي إلى النفع في باب الدين، فأما الالم الذي لا يؤدي إلى النفع فلا يسمى صلاحا مثل عذاب جهنم فإنه لا يؤدي إلى نفع ولا هو نفع في نفسه، فإن الصلاح ما يتمكن به المرء من الخير أو يتخلص به من الشر، والمصلح هو فاعل الصلاح يقوم به أمر من الامور[3] ويقال للشيء صلح بعد إن كان فاسدا ويقال أيضا صلح إذا وُجد من أول نشأته صالحا.

وتظهر عناية القرآن الكريم بالصلاح ومعانيه المختلفة من كثرة تردد لفظه وصياغاته المختلفة فيه، فقد ورد هذا اللفظ باشتقاقاته المختلفة في (١٧٨) مائة وثمانية وسبعين موضعا، فقد جاء بصيغة الفعل اللازم (على وزن فَعَل للمفرد: صَلَح)، وبصيغة الفعل المتعدي على أوزان هي؛ (أفعَلَ للماضي: أصلَحَ، أصلَحَا، أصلَحوا)، (تُفعِل: للمفرد المخاطب: تُصلِحوا)، (يُفعِل للغائب المفرد والجمع: يُصلِح، يُصلِحون) (أفعِل: فعْل الأمر للمفرد والجمع: أَصْلِح، أَصْلِحوا) وجاء بصيغة الاسم للدلالة على الذوات والمعاني والأعمال (صالح، صالحون، صالحين، صالحات، مصلحون، مصلحين) وجاء بصيغة المصدر مرتين

(صُلْح، إصلاح).

ويُعدُّ الصلاح والإصلاح أمرا جوهريا في القرآن الكريم، عليه مناط التكليف برمته، فبه ابتدأ وجود الإنسان وحركته على هذا الكوكب وإليه يجب أن ينتهي مصيره في الآخرة، كما قرّر الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٤) وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٥) فقد خلق الله تعالى هذه الأرض وأصلحها بنظام طبيعي مُتقن في جميع أجزائه، كريمٌ في منافعه ومباهجه ولذاته المادية والروحية، فسخر كل ما في الوجود لنفع الإنسان ومسرته، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٦) وقد خسئ كلُّ من رام أن يحصي نعم الله عددا، فقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(٧)، وشفع الله تعالى ذلك الإحكام في الخَلق بنظامٍ محكم من التعاليم والتشريعات المترادفة التي لم يخلُ منها زمان أو مكان، على أيدي رجال تكفلوا بمهمة التبليغ والتعليم فقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٨) وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(٩)، والفساد المنهي عنه في الأرض هو الاضرار بما تمنع الحكمة منه، كقتل المؤمنين والاعتداء عليهم. وقيل: إفساد الأرض بالعمل فيها بمعاصي الله، وإصلاحها بالعمل فيها بطاعة الله(١٠) فإن إفساد الناس في الأرض يتحقق بعدة أمور منها (إِفْسَادُهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِالْإِصْرَارِ عَلَى المعاصي والْأدواء القَلبيَّة، وإِفْسَادُهم الناسَ ببَثِّ تِلْكَ الصفات والدعوة إِلَيْهَا، وإِفْسَادُهُمْ أَبْنَاءَهُمْ وَعِيَالَهُمْ فِي اقْتِدَائِهِمْ بِهِمْ فِي مَسَاوِيهِمْ، وإِفْسَادُهُمْ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي يَنْشَأُ عَنْهَا فَسَادُ الْمُجْتَمَعِ، كَإِلْقَاءِ النَّمِيمَةِ وَالْعَدَاوَةِ وَتَسْعِيرِ الْفِتَنِ، ومن الإفساد فِي الْأَرْضِ تَصْيِير الْأَشْيَاءِ الصَّالِحَةِ مضرةً كَالْغِشِّ فِي الْأَطْعِمَةِ، وَمِنْهُ إِفْسَادُ الْأَنْظِمَةِ كَالْفِتَنِ وَالْجَوْرِ، وَمِنْهُ إِفْسَادُ الْمَسَاعِي كَتَكْثِيرِ الْجَهْلِ وَتَعْلِيمِ الدَّعَارَةِ وَتَحْسِينِ الْكُفْرِ وَمُنَاوَأَةِ الصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ، وَالْمُرَادُ بِالْأَرْضِ هَذِهِ الْكُرَةُ الْأَرْضِيَّةُ بِمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْقَابِلَةِ لِلْإِفْسَادِ مِنَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَسَائِرِ الْأَنْظِمَةِ وَالنَّوَامِيسِ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهَا)(١١) فالإفساد مطلقا حرام في الشريعة الإسلامية، لكنه بعد الإصلاح يصبح أشدّ حرمة(١٢) كما إن مدلول الآيتين الآنفتين يتسع لأن يدخل فيه النهي

عن كل إفساد يطال أي شيء في نظام الوجود أو في الوجود نفسه، لأن المفسد مخالف لإرادة الله تعالى في خلقه وأمره، فقوله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا﴾ هو (منعٌ عن إدخال ماهية الإفساد في الوجود، والمنع من إدخال الماهية في الوجود يقتضي المنع من جميع أنواعه وأصنافه، وأما قوله ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ فيحتمل أن يكون المراد بعد أن أصلح خلقتها على الوجه المطابق لمنافع الخلق والموافق لمصالح المكلفين، ويحتمل أن يكون المراد بعد إصلاح الأرض بسبب إرسال الأنبياء وإنزال الكتب، فكونوا منقادين لها، ولا تقدموا على تكذيب الرسل وإنكار الكتب والتمرد عن قبول الشرائع، فإن ذلك يقتضي وقوع الهرج والمرج في الأرض فيحصل الإفساد بعد الإصلاح، وذلك مستكره في بداهة العقول)[١٣] فالإصلاح وفق هذه المعاني يكون أما بإقامة النموذج الصالح ابتداء أو التوجه نحو نموذج سيء أو منحرف أو فاسد لنقضه.

والإيمان الناجز في القرآن الكريم هو ذلك الإيمان المقترن بالعمل الصالح، فلا يجزي أحدهما دون الآخر وقد تكرر ذلك الاقتران كثيرا بما ناهز التسعين مرة، وجاء بصيغة مشهورة هي قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أو ﴿مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ وما جرى مجراهما من التعابير، فالصَّالِحَاتُ هي (جَمْعُ صَالِحَةٍ وَهِيَ الْفِعْلَةُ الْحَسَنَةُ وَأَصْلُهَا صِفَةٌ جَرَتْ مَجْرَى الْأَسْمَاءِ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ صَالِحَةٌ وَحَسَنَةٌ وَلَا يُقَدِّرُونَ مَوْصُوفًا مَحْذُوفًا وَالتَّعْرِيفُ هُنَا لِلِاسْتِغْرَاقِ وَهُوَ اسْتِغْرَاقٌ عُرْفِيٌّ يُحَدَّدُ مِقْدَارُهُ بِالتَّكْلِيفِ وَالِاسْتِطَاعَةِ وَالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ)[١٤] فيكون معنى الصالحات شاملا لجميع أعمال البر والإحسان والخير مما تستقيم به الحياة وتعمر به الأرض ويُنال به ثوابُ الله تعالى وكرامته. وليس هناك أرحبُ من ميادين الإصلاح في القرآن الكريم فهو يتناول إصلاح الفرد لشئونه الخاصة في عقيدته وعباداته ومعاملاته وأخلاقه ويتناول إصلاحه لشأن أهله وأفراد أسرته، ويتناول الإصلاح بين الناس وطبيعة العلاقات السائدة في المجتمع، بل يتجاوز ذلك كلّه لإصلاح الحياة الآخرة فهو شامل لأمر الدين والدين معا. وأخيرا كفى بالصلاح مكانة وبالصالحين رفعة تلك البشارة الكبرى التي بشر الله بها عباده الصالحين بوراثة الأرض وخيراتها إن عاجلا أو آجلا، فقال في كتابه المجيد: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[١٥].

ثانياً: صفات وشروط المصلح في الإسلام.

وضع الإسلام لكل شيءٍ حدّا وأقام لكلّ موصوف صفة، بها يتحدد معناه وتُعرف

ماهيته، وقد بيّن القرآن الكريم والسنة الشريفة الصفات والخصائص التي يجب أن يتسم بها المرء لكي يكون مصلحا وأهمها الآتي:

أ – سلامةُ النيّة وقصدُ القربة إلى اللهِ تعالى وحسنُ التوّكل عليه: فإن وجْهَ الله تعالى يجب أن يكون هو المطلوب في جميع حركات المؤمن وسكناته، وقبوله ورفضه، ودنياه وآخرته، وطلبُ وجهِ الله هو الضمانة الأكيدة لنجاح الأعمال بما في ذلك الأعمال التي تظهر وكأن لا علاقة لها بالدين، من سياسة وإعمار وبيع وشراء وبناء وغيرها من مكاسب الدنيا، لأن هذه الأمور جميعا إن أُريد بها ذات المكاسب فلا يبعد أن تتحول إلى طغيان وضلال!! قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[١٦] فهذه الآية جاءت بصيغة الخبر المنفي ولكنها أفادت النهي، أي لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، ولا شك إن الإنفاق على المحتاجين هو من أعمال البر والإصلاح بحد ذاته لكنه يخرج عن معناه وصفته الإصلاحية إذا توجه إلى مقاصد أخرى! كأن ينفق المرءُ أمواله رئاءَ الناس أو كالذي يبطل إنفاقه بالمن والأذى أو كالذي يتيمم الخبيث من المال لينفقَ منه، وقد تأكد هذا المعنى في الكثير من آيات القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[١٧] وقوله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٨] وقوله تعالى يصف الفائز برضوانه بأنه هو: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[١٩] بل إن القرآن أكّد إن جميع المشقّات والأهوال التي يكابدها المؤمن في طريق إيمانه الصالح يجب أن يُراد بها وجهُ الله فقال: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٢٠] فسلامة النية وخلوص القصد هو شرط شامل لجميع أعمال المؤمن ونتائجها، وهذا ما أفاده قول رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[٢١]. وبعد أن تنعقد النية السليمة في ذاتِ المُصلح يأتي العملُ المهم الآخر وهو الثقة بالله والتوّكل عليه، لأنهما الضمانة الأكيدة في نجاح أي عمل، قال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢٢] وعمّم ذلك

الخطاب ليشمل الجميع فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٢٣) فحُسنُ التوكل يصنع الهمم العالية التي بدونها يستحيل تحقيق الغايات، وحسن التوكل لا يزوّد المؤمن بالطاقات الروحية اللازمة لمواصلة العمل والإصرار على إنجازه فحسب بل يجعله ملتزما بأخلاقيات الإيمان نفسه فيأتي عمله كله لله من مبدئه إلى منتهاه.

ب - يجب أن يكون المصلح على درايةٍ وعلمٍ بمطالب الشريعة وحقائق الأمور، فأنّى للجاهل أن يطلب إصلاحا إذا كان فاقدا للتمييز بين الصالح والطالح؟! وربما طلبَ الجاهلُ المنكرَ أو أمر به وهو يظنُّه معروفا!! وربما جانَبَ المعروفَ ونهى عنه وهو يظنُّه منكرا!! ولا حاجة بنا لبيان فضل العالم على الجاهل من القرآن الكريم، ويكفي لذلك أن نعرف إن لفظ العلم بمختلف تصريفاته في القرآن الكريم ورد مئات المرات حتى قيل أنها بلغت أكثر من سبعمائة وخمسين مرة، ولا يوجد كتاب تعرفه البشرية قد أولى العلم والعلماء مكانة أساسية ومركزية في الوجود بقدر ما فعل القرآن، ويكفي في رفعة منزلة العلماء أنه قال فيهم: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٢٤) وكفى بالعلم شرفا أن جعله الله مناطا لتكريم آدم واستخلافه في الأرض فقال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢٥) ثم زوّد ذريته بكل أدوات العلم والمعرفة من سمع وبصر وفؤاد للوصول إلى معرفة الحقائق، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٢٦). ومن أجل ذلك تكرر الأمر في القرآن بالاستعاذة من الجاهلين كما في قوله على لسان موسى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٢٧) وأمر القرآن بالإعراض عن الجاهلين كما في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٢٨) ونبّه إلى الحذر من الكون مع الجاهلين كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٢٩) وقوله تعالى ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٣٠) وقد أحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما عندما أصاب كل هذه المعاني فحّذر من مباشرة الجهلة لأمور الناس قائلا: (ألا وإن أبغض خلق الله إلى الله رجل قمش علما، غارا في أغباش الفتنة عميا بما في غيب

الهدنة، سماه أشباهه من الناس عالما، ولم يغن في العلم يوما سالما، بكّر فاستكبر، فما قل منه فهو خير مما كثر، حتى إذا ما ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل قعد للناس مفتيا لتخليص ما التبس على غيره، إن نزلت به إحدى المبهمات هيأ حشوا من رأيه، فهو من قطع المشتبهات في مثل غزل العنكبوت، لا يعلم إذا أخطأ، لأنه لا يعلم أخطأ أم أصاب خباط عشوات ركاب جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، لا يعض في العلم بضرس قاطع، ذراء الرواية ذرو الريح الهشيم، تبكي منه الدماء، وتصرخ منه المواريث، ويُستحل بقضائه الحرام..)[٣١].

ج - لكي يكون المرء مُصلحا يجب علية أولا أن يكون صالحا في نفسه، فمن غير المعقول واللائق أن يأمرَ المرءُ بشيء وهو غير متّصفٍ به، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣٢] فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية قوله: من لم ينسلخ من هواجسه ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها ولم يهزم الشيطان ولم يدخل في كنف الله وأمان عصمته لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة فكل ما أظهر يكون حجةً عليه ولا ينتفع الناس به، ويقال له يا خائن أتطالب خلقي بما خنت به نفسك وأرخيت عنه عنانك؟![٣٣] فإن عدم اتصاف المرء بما يدعو إليه لا ينفّر الناس عنه فحسب، بل يجعلهم يشككون بما يدعو إليه وإن كان صحيحا في ذاته!! بل إنه بعمله ذاك يخرج من دائرة الإيمان الخالص إلى دائرة النفاق المحض ولا يبعد أن يكون دجّالا، ما يوجب مقت الله وسخطه، مثلما أخبر تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٣٤].

د - سريان الصلاح من ذات المصلح إلى غيره: فمع التسليم بأن المُصلح يجب أن يكون صالحا في نفسه ولكن ذلك وحده لا يكفي لكي يوصف بأنه مصلح مالم يتجاوز مرحلة الصلاح إلى مرحلة الإصلاح، أي لا يكتفي بأن يكون هو صالحا في ذاته وأموره فحسب بل لا بدّ من وجود الرغبة الأكيدة لديه لصلاح غيره وصلاح أمورهم، وإلا لتساوى جميع الناس في هذه الصفة، من اكتفى منهم بشأنه ولم يهتم بأمور الناس مع من كابد الأهوال في تحمله أعباء صلاح المجتمع!! فقد جعل الله

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على هذه الأمة بجميع أفرادها وعلى اختلاف مراتبهم ومواقعهم فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٣٥] فخيريّة هذه الأمة وأفضليتها قائمة طالما كانت آمرةً بالمعروف ناهيةً عن المنكر، ومعنى الآية (صرتم خير أمة خلقت لأمركم بالمعروف، ونهيكم عن المنكر، وإيمانكم بالله. فتصير هذه الخصال على هذا القول شرطا في كونهم خيرا. وقد روي عن بعض الصحابة أنه قال: من أراد أن يكون خير هذه الأمة، فليود شرط الله فيه من الايمان بالله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٣٦] وقد أكدّ رسول الله ﷺ المسؤولية المباشرة التي تقع على عاتق كلّ واحد منا بقوله: ﴿كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ..﴾[٣٧] وقوله: (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم) وهو ما جاء بلسان الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام بلفظ مقارب وهو قوله: (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)[٣٨].

هـ - يجب أن يكون العمل الإصلاحي ممكنا في ذاته ومتساوقا مع ظروف المصلح نفسه من جهة ومع أوضاع المجتمع المطلوب إصلاحه من جهة أخرى، ولهذا فقد تتفاوت وسائل الإصلاح وآلياته مابين العمل السري أو الجهري، والإصلاح بالقول أو الإصلاح بالفعل، والإصلاح بالموعظة الحسنة أو الإصلاح بالقوة بحسب الظروف والأحوال، ولنا في سير الأنبياء المصلحين الذين ذكرهم القرآن الكريم قصصٌ مهمة جدا بهذا الصدد، فقد جاء ذكر الاستطاعة في الإصلاح صريحا على لسان نبي الله شعيب في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٣٩] أي إني أصلحكم بقدر وسعي وطاقتي ولا أجبركم على ما ترفضون، بل لنا في السيرة النبوية الشريفة وأطوارها المختلفة وأساليبها المتنوعة خير مثال على ذلك، وقد جاء في وصية رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام قوله: (وأن تؤدب نفسك وأهلك وولدك وجيرانك على حسب الطاقة)[٤٠] وعلى هذا النهج سار أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام فقد روي أنه لما قُبض رسول الله ﷺ جاء العباس بن

عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب إلى أمير المؤمنين عليه السلام وخاطباه في أن يبايعا له بالخلافة فقال: (أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة. وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا عن تيجان المفاخرة أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح.. ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه)[٤١] كما إن وسائل الإصلاح يجب أن تكون صالحة في ذاتها فمن غير الشرعي أن يطلب المرء إصلاحا بوسائل غير صالحة!! فمقولة إن الغايات تبرر الوسائل هي مقولة ساقطة ومرذولة في الشرع الإسلامي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله (من أمر بالمعروف فليكن أمره ذلك بمعروف)[٤٢].

ثالثاً: مراتب الإصلاح وأنواعه.

يختلف الإصلاح في مراتبه ومدارجه مع اختلاف المصلحين وظروفهم من جهة، ومع اختلاف حالات الفساد التي يتوجهون نحوها بالإصلاح من جهة أخرى، وعندما نتحدث عن مراتب الإصلاح فإننا لا نعني بالضرورة التدرج فيه بالإنتقال من مرتبة إلى أخرى! فقد يباشر المصلح أية مرتبة يراها مناسبة وقد يجمع بين جميع المراتب في آن واحد، فهذا التقسيم الرتبي جاء لأغراض بحثية وعلمية، وعلى العموم فإننا في تقسيم الجهود الإصلاحية يمكن أن نتلمس صنفين هما:

أ. الإصلاح السلبي (الهدمي): وهو الإصلاح الذي يتوجه نحو العمل أو النظام الفاسد لهدمه ونقضه أو تغييره، ويعدّ هذا العمل شرطا من شروط نجاح البرنامج الإصلاحي، إذ لا يتسنى ولا يستقيم لطالب الإصلاح أن يبني نموذجه الإصلاحي ما لم يقُم بهدم نماذج الفساد القائمة، وهذا النوع من الإصلاح بدوره يأتي على مراتب و درجات تبدأ بالسهل المتاح وتنتهي بالصعب ذي المشاق وهي الآتي:

١. كراهية المنكَر واستنكاره: ويبدأ من الإنكار القلبي الذي يبديه المؤمن تجاه الوضع الفاسد أو الجائر بمجرد معرفته بجوره وفساده ومخالفته لقواعد الشريعة، بيد إن ذلك الإنكار سيكون عملا محدودا ما لم يتمثل بإمارات وأعمال تدل عليه، وأولها الصدود والإعراض عن المفسدين لتنبيههم إلى سوء حالهم ولتنبيه الناس أيضا وحثهم على اتخاذ ما يلزم تجاههم، وقد أشار القرآن الكريم إلى اتباع هذا الأسلوب في الكثير من آياته ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ

الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[٤٣] وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[٤٤] وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٤٥] وقوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾[٤٦] وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (أمرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة)[٤٧] والوجه المكفهِّر من الوجوه هو الغليظ المتعبس الذي لا يستحي، أو الضارب لونه إلى الغبرة مع غلظ[٤٨] ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من وقع نفسي مؤثر على نفسية المفسد، ومن أثر اجتماعي يؤدي إلى عزلته. فإنْ نَفَع أسلوب الهجر والصدود والإعراض فكفى به سبيلا، وإن لم ينفع تعيّن الانتقال إلى أسلوب البيان بالقول الفصل الذي يصدعُ به المصلح في وجوه المفسدين، قال تعالى مخاطبا رسوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[٤٩] وقال أيضاً: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾[٥٠] ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الأخيرة من مراحل نقض الفساد وتغييره وهي مرحلة الفعل المباشر لإزالته، وهذه تُعدُّ من أخطر المراحل لما يكتنفها من مشاقٍّ وصعوباتٍ على نفس المصلح أو لما ينتج عنها أحيانا من اضطراب وفوضى في المجتمع لو باشرها آحاد الناس بأنفسهم دون الرجوع إلى الحاكم الشرعي، خاصة فيما يتعلّق بالشئون العامة ذات التأثير الواسع. وقد انتظمت جميع مراحل هذه المرتبة من مراتب الإصلاح بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله القائل (من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)[٥١] إلا إننا تدرجنا هنا فيها من الأسهل إلى الأصعب بينما يبدأ الحديث في التغيير من الصعب وهو التغيير باليد نزولا إلى السهل وهو الإنكار بالقلب، وليس في ذلك غضاضة في فهم الحديث أو تعارض في تأويله كما نظن!!

٢. عدم الدخول في مشروع الفساد: فإن المفسد مهما كان قويا ومتسلطا فهو لا يستطيع أن يستمر في فساده وطغيانه ما لم يكن ثمة من ينخرط في مشروعه ويعينه على تنفيذه، ولذلك فإن عدم الانخراط في مشاريع المفسدين والظلمة يُعدّ من أهم الإعمال التي تقوض تلك المشاريع وتعجل بانهيارها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى

الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[٥٢] أي لا تستندوا ولا تطمئنوا إلى الذين ظلموا. إلى الجبارين الطغاة الظالمين، أصحاب القوة في الأرض، الذين يقهرون العباد بقوتهم ويعبّدونهم لغير الله من العبيد، فإن ركونكم إليهم يعني إقرارهم على هذا المنكر الأكبر الذي يزاولونه ومشاركتهم إثم ذلك المنكر الكبير[٥٣]، وقد جاء عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله اوصى علي بن أبي طالب عليه السلام فيما كان اوصى به ان قال: لا تركن إلى ظالم وان كان حميما قريباً[٥٤]. ويظهر من مطاوي هذه الآية و سائر الآيات الناهية عن اتخاذ غير المؤمنين (الصالحين) أولياء أنه (خروج عن زي العبودية، ورفضٌ لولاية الله سبحانه، و دخول في حزب أعدائه لإفساد أمر الدين، و بالجملة هو طغيان وإفساد لنظام الدين الذي هو أشد و أضر بحال الدين من كفر الكافرين وشرك المشركين فإن العدو الظاهر عدواته المبائن طريقته مدفوع عن الحومة سهل الاتقاء والحذر، وأما الصديق والحميم إذا استأنس مع الأعداء ودبّ فيه أخلاقهم وسننهم فلا يلبث فعاله إلا أن يذهب بالحومة و أهلها من حيث لا يشعرون، و هو الهلاك الذي لا رجاء للحياة والبقاء معه)[٥٥].

ب - الإصلاح الإيجابي (البنائي) ويتم بطريقتين هما:

١- الإصلاح بالمثل الأعلى (القدوة الحسنة): إذا كان للمفسدين مَثَلُهم وبناؤهم الذي يشيدونه بالتسلط والقوة والمكر على حساب حقوق الناس ودمائهم وأموالهم، فلا بدّ للمصلحين من أن يكون لهم ما يقابلون به ذلك البغي والفساد بمَثَلٍ آخر مختلف، تهفو إليه قلوب المؤمنين ويكون حجة على المفسدين حتى يتبين الفرق بين البناءين فيتبع كل ذي سبيل سبيله، وقد ضرب الله لنا الأمثال الحسنى في القرآن من سيرة الأنبياء، ووجه أنظارنا ونفوسنا لاتباعها، فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٥٦] وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥٧] فمع مشاعر الاستئناس والبهجة التي تقدمها تلك الأمثال الثمينة التي تهشُّ إليها نفوس المصلحين في كلّ عصر ومصر، لكنّ الأهم فيها هو أنها تقدّم نموذجا عمليا حيّا وواقعيا يبعث الأمل بإمكانية الإصلاح مهما اشتدت

الخطوب وأناخ الفساد والطغيان بكلكله على كاهل الناس. فإن تذكّر هذه القدوات واستحضارها هو دراسة واستلهام واستفادة من التجارب وحجة بالغة للتابع والمتبوع، ومن هذا المنظار جعل أمير المؤمنين - عليه السلام- ذلك الاقتداء من واجبات من ينشد الإصلاح من ولاة الأمر فوجهه بقوله: (وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ: مِنْ حُكُومَةِ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا)[٥٨] فإن الصالحين ينحاز بعضهم لبعض ويتشبه بعضهم ببعض بحكم الولاية الفطرية التي جعلها الله فيما بينهم إذ قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٥٩] فيما ينحاز المفسدون لبعضهم بحكم التماثل في السنخ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[٦٠] وقد حذّر الله تعالى من الاغترار بنماذج الفاسقين حتى وإن كانت قوية أو كان ظاهرها جميلا فقال: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾[٦١]، لما في ذلك من خطر في فشوِّ الباطل وتوهين المجتمع المؤمن والفتِّ في عضده (فإن المجتمع الجاهلي - الفاسد - لا يتحرك كأفراد، إنما يتحرك ككائن عضوي تندفع أعضاؤه بطبيعة وجوده وتكوينه للدفاع الذاتي عن وجوده وكيانه فهم بعضهم أولياء بعض، ومن ثمَّ لا يملك الإسلام أن يواجههم إلا في صورة مجتمع آخر له ذات الخصائص ولكن بدرجة أعمق وأمتن وأقوى، فأما إذا لم يواجههم بمجتمع ولاؤه بعضه لبعض فستقع الفتنة لأفراده)[٦٢] كما يجب على المؤمن أن يميز جيدا بين دعاوى الإصلاح ذاتها، فكم من دعوة تلفعت برداء الإصلاح وتاجرت بدعايته وهي في حقيقتها دعوة فساد وتخريب؟! قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٦٣].

٢- الإصلاح بقوة القانون وقهر السلطة: مع إن الإسلام ضمن السعادة والصلاح للمجتمع الذي يلتزم بمنهجه ومقرراته لكنه كان يعلم بنزوع الكثير من النفوس الضعيفة إلى المخالفة أو الجريمة، والقرآن وحده قد لا يكفي وازعا أو رادعا لإغراء

تلك النفوس أو حملها على الصلاح وكفٍّ أذاها عن المجتمع مالم يكن هنّاك قيّم أمين يُجري أحكامه وينفّذ أوامره، فكان لابدّ من نظام يضبط حركة الناس، وسلطان يكبح جماحهم ويضرب على أيدي المعتدين ويحجزها عن إلحاق الأذى بالمجتمع، وهذه الحقيقة قرّرها القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٦٤) وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٦٥)، مع إن الأصل هو اعتماد الرقيب الذاتي في الإنسان طريقا لصلاحه، فإن نجح هذا الوازع مع طريق الرقابة الاجتماعية في كفّ الأذى والتصدي للفساد فبها ونعمت وهو المطلوب، وإن لم ينجح تعين طريق آخر وهو الضرب على اليد واستعمال القسوة والقهر حتى تُقام حدود الله، وتُمتثل أوامره، وتُجتنب نواهيه، وإلى ذلك أشار قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٦٦) ففيه الإشارة إلى أعمال السيف بعد إقامة الحجة، فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتائب، والله تعالى قد يزعّ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، قال رسول اللّه ﷺ: (الخير كلّه في السيف وتحت ظلّ السيف، ولا يقيم الناس إلاّ السيف، والسيوف مقاليد الجنّة والنار))(٦٧) (فكم من الأرواح توفّرت؟ وكم من الأعراض صِينت؟ وكم من الأموال حُفظت؟ لا بسبب توّرع الناس وصلاح سرائرهم!! بل بسبب هيبة السلطان وقوته في فرض النظام والسكينة والدعة في المجتمع، ومن هذا المنطلق شُرّعت والحدود والتعزيرات في الدين وشُرّعت القوانين والعقوبات في الأنظمة الوضعية، ويحدثنا التأريخ أن من أول أعمال أمير المؤمنين عليه السلام بعد استقراره في الكوفة وممارسته للحكم فيها هو أنه قام بتنظيم جهاز الشرطة وجعل عليه شخصا مسئولا سماه صاحب الشرطة ثم بنى سجنا سماه (نافعا) لأنه أراد لبعض المخالفين للقانون أن ينتفعوا من مدة مكثهم فيه، لكن حسن ظن عليّ لم يكن في موضعه فقد قام بعض أولئك الأشقياء بالفرار من السجن لأنه لم يكن حصينا فقد بُني من القصب أو ما شابه، فهدمه و بنى مكانه سجنا أكثر حصانة

وسماه (المخيِّس) وقال في ذلك شعرا:

ألم تـــــراني كيّســـــا مكيّســـــا بنيـــتُ بعـــد نـــافعٍ مخيّســـا[٦٨]

المبحث الثاني

محورية الإصلاح في النهضة الحسينية الشريفة

أولاً: منابع السمة الإصلاحية في شخصية الإمام الحسين عليه السلام:

لم يكن الشعار المركزي الذي رفعه الإمام الحسين عليه السلام عنوانا لنهضته الشريفة، والمتمثل بقوله الخالد: (إني لم أخرج أشرا ولا بطرا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله) شعارا مرحليا يعبّر عن ردّة فعل آنية لرجل ضاق ذرعا بالوضع الجائر!! بل جاء ليعبّر قبل كلّ شيء عن خصائص شخصيته الفريدة قبل تعبيره عن ملابسات ظروفه أو مواصفات أعدائه!! فإن الحمولة الدينية والسمات الأخلاقية والخصائص التاريخية التي انطوت عليها شخصية الإمام الحسين عليه السلام كانت بمثابة عبءٍ ثقيل - لو جاز لنا أن نستخدم هذا التعبير - دفع به لاتخاذ موقفه، لكنه ليس عبء التكبيل والتقييد بل عبء الالتزام بمقررات تلك الحمولة الثمينة. فلا شك إن الملايين من أبناء الأمة في وقت نهوض الحسين كانت تتعرض لنفس الظروف التي تعرض لها أبو عبد الله وربما أقسى، لكنه الوحيد الذي انبرى من بين تلك الجموع الغفيرة ليقول كلمةً آثر غيره ابتلاعها أو مداراتها، بسبب حساسية الإمام الحسين المفرطة لكل ما هو منحرف، ولم تكن تلك الحساسية وليدة موقف سياسي مرتجل من الحاكم أو حسابات طامع بالسلطة أو انتفاضة عزيز قوم ذلّ كما يطيب للبعض أن يصوّر أو يدعي.. بل إن الذي كان يقف وراءها بعمق هما عاملان رئيسان انطوت عليهما شخصيته الشريفة وهما:

١- طهارة الأصل وسمو التربية: فقد اتصل الحسين عليه السلام بكل نسبٍ وسببٍ بشجرة المجد وأرومة الشرف، فالحسين هو ذلك الغصن الرطيب الخالد من أغصان الشجرة المحمدية السامقة، وهو ذلك الفرع المغدق المشبوب بالأمل واللوعة من فروع الدوحة العلوية المثمرة، وهو ذلك النهر الغارف من كوثر الحضرة الفاطمية الزاهرة. فشخصية الحسين الفريدة بُنيت من امتزاج رافدين كبيرين هما: طهارة الأصل، وسمو التربية.

يضاف إليهما البيئة الروحية والمعرفية التي اكتنفت نشأته. فعن طريق الوراثة التي تُعرف بأنها: قوة طبيعية في الكائن الحي، بها تنتقل الصفات إلى النسل من أصوله، ورث الحسين جميع الاستعدادات والقدرات العقلية والسجايا الخلقية والصفات الجسمانية من أبويه الطاهرين، ويُعدُّ العامل الوراثي مُقدّما في تحديد خصائص المرء وصفاته، وقد أشار القرآن الكريم إلى فعّالية ذلك العامل وحسمه في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٦٩]، أي اختارهم ذريةً طاهرةً، فهم يتوارثون الطهر والفضيلة والخير وفي الآية دليل واضح على تأثير الأجداد والآباء في ذريّاتهم، وإن صفاتهم تنتقل إليهم عن طريق الوراثة وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[٧٠]، وقد نص الرسول على توارث بعض الصفات الخلقية والعصبية، فقال: (الودُّ يُتوارث والبغض يُتوارث)[٧١] فليس غريبا بعد ذلك أن تكون صورة الحسين السبط هي نفسها صورة جده النبي الأكرم وهي نفسها صورة أبويه علي وفاطمة، فلطالما ردد رسول الله ﷺ (حسين منّي وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط)[٧٢].

أما عن نوع التربية التي حظي بها الحسين فقد كانت في المقام الأعلى والنوع الأسمى من غرس القيم وزرع الفضائل، فما أن أبصر هذا الوليدُ النورَ حتى تلقفته أيادي رسول الله الكريمة، يغذّيه من شمائله ويلقمه من فضائله، فقد روي أن السيدة الزهراء عليها السلام (لما حملت بالحسين قال لها رسول الله ﷺ: يا فاطمة انك ستلدين غلاما قد هنأني به جبرئيل فلا ترضعيه حتى أجئ إليك ولو أقمت شهرا، قالت: أفعل ذلك، وخرج رسول الله في بعض وجوهه فولدت فاطمة الحسين، فما أرضعته حتى جاء رسول الله فقال لها: ماذا صنعت؟ قالت: ما أرضعته! فأخذه فجعل لسانه في فمه، فجعل الحسين يمصُّ حتى قال النبي ﷺ: إيهاً حسين إيهاً حسين!! ثم قال: أبى الله إلا ما يريد، هي فيك وفي ولدك، يعني الإمامة)[٧٣] وهو بعد ذلك يدرُجُ في معاهد الفضيلة ومغاني الطهر مابين حجر جدّه وحجر والديه، وكأنهم كانوا يعدّونه لتلك المهمة الجليلة التي سيختم بها حياته منذ يومه الأول،

فعن سلمان الفارسي أنّ الحسين عليه السلام كان يجلس على فخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يقبّله ويقول: (أنت السيّد ابن السيّد أبو السادة، أنت الإمام ابن الإمام أبو الأئمة، أنت الحجّة ابن الحجّة أبو الحجج تسعة من صلبك، وتاسعهم قائمهم)(٧٤) وكأن كل شيء في حياة الحسين تم توظيفه لأجل يوم كربلاء، فقد روي عن عبد الله بن عباس أنه قال: (لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله مرضه الذي مات فيه وقد ضمَّ الحسين إلى صدره يسيل من عرقه عليه وهو يجود بنفسه ويقول: مالي وليزيد لا بارك الله فيه، اللهم العن يزيد ثم غُشى عليه طويلا وأفاق وجعل يقبّل الحسين وعيناه تذرفان ويقول: أما إنّ لي ولقاتلك مقاما بين يدي الله عزّ وجل)(٧٥) إن هذه النياشين والأوسمة التي كان يضعها رسول الأمة محمد صلى الله عليه وآله على صدر سبطه الحسين بقدر ما كانت تمثله من امتياز وفخر لصاحبها فهي أيضا كانت تعبّر عن عِظم المسئولية الملقاة على عاتقه!! وكانت تحتّم عليه النهوض بأعباء مهمة جليلة سوف يرسم أيقونتها الخالدة بدمه الشريف. وهو كان يدرك جيدا امتداده الديني والروحي والأخلاقي العميق الذي رسم له مجمل حركته ووجوده، ألم يقل - عليه السلام: (ألا وإن الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلّة والذلة، وهيهات له ذلك، هيهات مني الذلة! أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طهرت وحجور طابت، أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)(٧٦) وقد بإمكان الحسين إن يحظى برعاية السلطان وحبوته لو أنه أعلن تأييده له أو حتى مجرد سكوته عنه، فقد بذل له الطغاة العروض المغرية لضمان سكوته! لكنّ أبا عبد عليه السلام أبى إلا أن يسلك طريق ذات الشوكة مرددا: (والله لو لم يكن ملجأ، ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية)(٧٧).

٢- الوعي التأريخي العميق المواكب لوجود الأمة ومشاكلها.

لقد واكب الإمام الحسين عليه السلام مراحل مفصلية في التأريخ الاجتماعي والسياسي للإسلام في طور ظهوره ونشأته، فقد وُلِد الحسين عليه السلام في السنة الرابعة من الهجرة في الوقت الذي كان فيه جدّه رسول الله - صلى الله عليه وآله - يضع اللبنات الأساسية للنظام الديني والمدني للأمة الإسلامية في مجتمع المدينة وما حوله، وشهد الحسين التغييرات الكبرى التي أحدثها الرسول في نمط الحياة العربية وتأسيسه لقيم ومبادئ جديدة ومختلفة عما كان سائدا قبل ذاك! وعندما فُجع المسلمون بفقد رسولهم في السنة الحادية عشرة من الهجرة كان الحسين وأهل بيته

والكثير من المسلمين يتطلعون لتولي الإمام علي عليه السلام قيادة الأمة، إذ لم يكن أحدٌ يدانيه في فضله وسبقه وعلمه (فما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه)[٧٨] ولم يُروَ في فضائل أحدٍ من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضائل علي بن أبي طالب[٧٩] ولم يكن طموح علي- عليه السلام- إلى الخلافة رغبةً مجردة أو طمعا بغير حق، فقد أُهِّل بمجموعة فريدة من الخصائص والشمائل كانت إرهاصات مهّدت لأهليته واستحقاقه لتلك القيادة، سواء على مستوى بناء شخصيته وصقلها، أو على مستوى الآيات القرآنية والأحاديث والمناسبات النبوية المؤكدة لفضله وجدارته بقيادة الأمة، وقد شاءت الأقدار أن لا يتبوأ علي- عليه السلام- ذلك المنصب الخطير! وأن يكون في صفوف المواطنين لثلاثة عهود من حكم الخلفاء الذين سبقوه، قبل أن تلقي الخلافة عصاها وتستقر بها النوى عند قدميه وتعود له كالعبد الآبق أو الابن الضال فصبر الإمام وصبر معه أهل بيته ومنهم الحسين إيثارا لمصلحة الأمة ونشدانا للسلم الأهلي، وقد رأى الحسين عليه السلام بأم عينه كيف انقلبت الفئات الضالة من المارقين والقاسطين والناكثين على شرعية أمير المؤمنين عند توليه أمور المسلمين فوضعوا العراقيل في طريقه وأثاروا الحروب ضد دولته فانتضى الحسين سيفه مدافعا عن تلك الشرعية وعن مشروعها المحمدي الأصيل، فخاض مع أبيه جميع حروبه في الجمل وصفين والنهروان وغيرها. ثم كان المصاب جللا على الحسين باغتيال أمير المؤمنين سنة ٤٠ هـ لكن ما ضاعف المصيبة عليه هو انقلاب الناس وخيانتهم لأخيه الحسن عليه السلام بعدما بايعوه بالخلافة مختارين، لكنّه أضطر إلى تسليم الحكم إلى معاوية بن أبي سفيان بعد رحيل الإمام علي بأربعة أشهر.

لقد ساهمت مواكبة الحسين لهذه الأحداث والحقب التأريخية الخطيرة في تكوين الوعي التأريخي العميق لديه، ذلك الوعي الذي كان سببا مباشرا في تبنّى الحسين لمشروع الإصلاح، بعدما أيقن إن التأخر في النهضة كان يعني القضاء المبرم على مشروع الرسالة المحمدية المجيدة وطموحها الخلّاق في بناء المجتمع الفاضل ودولة العدالة، فقد حفل عهد معاوية بالكثير من الجرائم والانتهاكات ضد الإسلام وأهله، بل إن إمارة معاوية كانت برمتها نقضا لدعائم الدين وأركان المسلمين، فقد كان معاوية يقول للناس (ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، قد عرفت أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون)[٨٠]، ولّما كانت فاتحة حكم

الأمويين بهذه الصورة فقد قدّر الحسين بفكره الثاقب وحساباته المحكمة إن دين الأمة ومستقبل أبنائها سيكونان في مهب الريح لو إنها ارتضت الخنوع واجترّت المهانة، وأنه لابدّ لها من هادٍ يعيد لها رسم طريقها ومن حادٍ يستحث خطى أبنائها، فكان هو الهادي وكان هو الحادي في طريق الصلاح والإصلاح، لأن الحسين عليه السلام كان يدرك جيدا إن من أولى ثمار الصلاح الذي كان يطلبه للأمة هي الحياة الطيبة الكريمة في دار الدنيا قبل الثواب الجزيل في دار الآخرة وهو ما قرره قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨١).

ثانياً: مطالب الإصلاح في النهضة الحسينية الشريفة.

عندما أُقوم بتصنيف مطالب الإصلاح في النهضة الحسينية فإنني لا أقصد إن تلك المطالب في الأصل كانت مجزّأة في فكر أبي عبد الله وإرادته!! فهو قد طلب الإصلاح بصفقة واحدة لم تستهدف جانبا دون آخر من جوانب الحياة، بل استهدفت إصلاحا شاملا لجميع نواحيها، فحركته المخلصة لم تقتصر على الجانب الديني والروحي والأخلاقي فحسب، بل شملت كل ما له علاقة بحياة الناس في السياسة والحقوق الاجتماعية والاقتصادية لجميع المكونات والأفراد، بعدما تمادت السلطة الأموية الغاشمة في الاستيلاء على تلك الحقوق وسخّرت إمكانياتها لتفتيت المجتمع والعودة به إلى الروح الجاهلية والقبلية التي جاء الإسلام لمحاربتها والقضاء عليها، ولأجل تبويب البحث فقد أجزت لنفسي أن أتحدث عن مطلبين رئيسين من مطالب الإصلاح عند الإمام الحسين عليه السلام وهما الآتي:

أ - الإصلاح الديني:

لا أعني بالإصلاح الديني هو ذلك الإصلاح الذي تقدمه مجموعة المبادئ والتشريعات الدينية من أجل إصلاح حياة الناس أفرادا وجماعات فذلك أمر مفروغ منه ، وإنما أعني به الإصلاح الذي يتبناه رجل الدين المخلص أو المؤسسة الدينية النزيهة من أجل إصلاح المفاهيم والمصاديق الدينية نفسها بعدما تتعرض للانحراف والتشويه على يد أصحاب الأغراض، فينحرف الدين عن مهمته السامية ويتحول في مفهومه المحرّف إلى مصدر للفساد والإفساد بخلاف ما جاء لأجله من صلاح وإصلاح. فالإصلاح الديني: يعني الرجوع بالأمة إلى المنابع الأولى للدين المتمثلة بالقرآن الكريم وسيرة الرسول وأهل بيته الأطهار والصحابة

النجباء فى العقيدة والسلوك والمعاملة والنظام، ونبذ كل تحريف وبدعة. وقد وصل الانحراف والتشويه للدين أوجَهُ في زمن معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، ولم يترك معاوية أمرا من أمور الدين إلا وأفسده مستعملا الترهيب والترغيب لنيل مبتغاه، فقد سخّر أموال المسلمين وطاقاتهم التي استحوذ عليها في شراء الذمم وصناعة الأحاديث المكذوبة على رسول الله- ﷺ- في فضله وفضل أقاربه من بني أمية من جهة، وفي المثالب المزعومة لخيرة المؤمنين السابقين وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من جهة أخرى، لكن تولية معاوية لابنه يزيد أميرا للمؤمنين بحد ذاته يُعدّ أعلى قمة في ذلك الإنحراف، فخليفة المسلمين وفق الترسيم الشرعي لهذا المنصب هو حامي الشريعة والقائم بالدين والقيم على أمور الدين و الدنيا معا، فقد أجمع المسلمون بكافة فِرَقهم على خطورة هذا المنصب ووجوب نصب الإمام الحقّ وثبت لديهم أن: (نصبُ الإمام من أهم مصالح المسلمين وأعظم عُمُد الدين فيكون واجبا حيث عرف بالسمع أن ذلك مقصود للشرع)[٨٢]، قال ابن حزم الظاهري: (اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله)[٨٣] وقال ابن جماعة (يجب نصب إمام إمام بحراسة الدين، وسياسة أمور المسلمين، وكف أيدي المعتدين، وإنصاف المظلومين من الظالمين، ويأخذ الحقوق من مواقعها، ويضعها جمعاً وصرفاً في مواضعها، فإن بذلك صلاح البلاد وأمن العباد، وقطع مواد الفساد، لأن الخلق لا تصلح أحوالهم إلا بسلطان يقوم بسياستهم ويتجرد لحراستهم)[٨٤] وعقد الإمام النووي فصلا في وجوب الإمامة بدأه بقوله: (لا بد للأمة من إمام يقيم الدين وينصر السنّة وينتصف للمظلومين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها)[٨٥] وكذلك فعل الأشبيلي مشيرا إلى إجماع الأمة على وجوب الإمامة[٨٦] وصرح بذلك الإجماع الأشعري أيضاً[٨٧]، وقال ابن تيمية: (يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس.. ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجُمَع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة، فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى

الله فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات)[٨٨] ولعظمة هذا المنصب قال الإمامية بوجوب الإمامة وجعلوها أصلا من أصول دينهم، فكيف يصح أن يتولى على المسلمين أرذل الخلق وأجرأهم على الله ودينه؟! فسيرة يزيد نفسه لم تكن مرضيّة عند جميع المسلمين فقد كان يجاهر بمعصيته ويستحسن خطأه، ويهوّن الأمور على نفسه في دينه إذا صحت له دنياه. وقد كان يرتكب الكثير من الخطايا التي شانه بها الكثير من رجال الأمة[٨٩] وقد حفل عهد يزيد بأبشع الانتهاكات ضد الإسلام وأهله، ففي مبدأ عهده قُتل الحسين مطلع سنة ٦١هـ[٩٠] واستبيحت المدينة المنورة سنة ٦٢هـ فيما يعرف بواقعة الحرة، وفيها قُتل مئات المسلمين و سُبيت نساؤهم[٩١]، وفي عهده حوصرت مكة على يد الحصين بن نمير ورُميت الكعبة بالمنجنيق وأحرقت بالنار في الثالث من ربيع الأول سنة ٦٤هـ[٩٢].

ومن أجل ذلك كلّه جاءت حركة الإمام الحسين عليه السلام سريعة تجاه كارثة تولي يزيد للسلطة لأن هذه الولاية تعد تحريفا للدين قبل كلّ شيء، فقد رسخ في ضمير الإمام الحسين فهم دقيق لمنصب الخلافة والإمامة أخذه من القرآن الكريم ومن سيرة جدّه، وهو قد سمع من أبيه أمير المؤمنين - عليه السلام- ترسيما دقيقا لمواصفات من يضطلع بهذه المهمة الخطيرة حين قال: (ولعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله)[٩٣] وهذا بالتحديد ما قرّره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٩٤] فأين موقع يزيد من هذا الوصف؟! وهو رجل فاسقٌ، شارب للخمر، مستحلٌّ لحرمات المسلمين قاتلٌ للنفس المحترمة كما وصفه الحسين[٩٥]، وكيف لمثل الحسين أن يبايع مثل يزيد؟! لقد كان الحرص على دين الله هو الدافع الأول والأكبر لنهضة الإمام الحسين -عليه السلام- فقد جاء في وصيته التي دفعها إلى أخيه محمد بن الحنفية (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: أن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً -صلى الله عليه وآله- عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور... إني لم أخرج أشِراً ولا بطِراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد -صلى الله عليه وآله-

أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وسيرة أبي علي بن أبي طالب -عليه السلام- فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي إليك يا أخي، وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، والسلام عليك وعلى من اتّبع الهدى ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم)[٩٦] ولم يكن الحسين بحاجة إلى أن يعلن مبادئ إيمانه في هذه الوصية كشهادته أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وغير ذلك من أركان الإيمان إلا ليعيد إلى الأذهان محورية هذه العقيدة في وجوده ووجود الأمة، وإلا ليقول للناس إن هذه المحورية هي الهدف الأول في إنطلاقته بعد أن أوشكت معالم الدين أن تضيع و تندثر، ويحدثنا التأريخ إن الإمام الحسين عليه السلام في مبدأ حركته خرج من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة تحاشيا لبيعة يزيد فأتاه بعض الصحابة فيها، ومنهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وأشاروا عليه بعدم الخروج إلى العراق والإقامة بمكة والاحتماء ببيتها الحرام لكنه آثر تجنيب معالم الدين ومشاعره آثار المواجهة قائلا: (والله لأن أُقتل خارجا منها بشبر أحب إليّ من أن أقتل فيها ولأن أقتل خارجا منها بشبرين أحب إلي من أن أقتل خارجا منها بشبر، وأيم الله لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم والله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت)[٩٧] فنهضة الحسين أعادت الارتباط الوثيق بين قيم الدين الحنيف وبين حياة الناس وأزالت الزيف والغشاوة التي اصطنعها الأمويون وخدعوا بها الكثيرين، وأظهرتهم على حقيقتهم الجاهلية في العقيدة والحياة، لقد أعاد الإمام الحسين -عليه السلام- الروح إلى المبدأ الإسلامي العتيد في الولاء والبراء وضرورة خضوعه إلى معايير الحق والشريعة، عندما أعلن عدم شرعية السلطان الجائر وضرورة الوقوف بوجهه، وقد صور لنا الحسين الانحطاط الشامل الذي وصلت إليه أمور الناس آنذاك في كلمة له يخاطب بها أبناء الأمة قائلا: (ترون عهود الله منقوضة، فلا تفزعون، وأنتم لبعض ذمم ابائكم تفزعون، وذمة رسول الله محقورة والعُمي والبُكم والزمنى في المدائن مهملة لا ترحمون!! ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعينون، وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كل ذلك مما امركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون!! وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء، لو كنتم تشعرون، ذلك بان مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الامناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك

المنزلة، وما سلبتم ذلك الا بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنّة بعد البينة الواضحة. ولو صبرتم على الأذى، وتحملتم المئونة في ذات الله، كانت أمور الله عليكم ترِد، وعنكم تصدُر واليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم، واستسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات، سلطهم على ذلك فراركم من الموت، وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم. فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبَدٍ مقهور، وبين مستضعَف على معيشته مغلوب، يتقلبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي بأهوائهم، اقتداءً بالأشرار وجرأةً على الجبار. في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة، وأيديهم فيها مبسوطة والناس لهم خول، لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد، وذي سطوة على الضَعَفة شديد، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد. فيا عجبا، وما لي لا أعجب، والأرض من غاش غشوم، ومتصدقٍ ظلوم!! وعاملٍ على المؤمنين بهم غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا)[٩٨] بهذه الكلمات حاول الإمام الحسين إعادة أذهان الناس إلى سنن القرآن الكريم في من سبق من الأمم الغابرة عندما قال بحقّهم: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٩٩] والتي أكدتها السنة الشريفة كثيرا كما في قوله - ﷺ: (لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء، أو كما قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليُستعملنّ عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم)[١٠٠] والأخبار في ذلك كثيرة، فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والانغماس في الرذيلة يعني الإيذان بالانهيار الشامل والسقوط والكلي لأن الوضع العام سيكون مهيئا لذلك، ولن يشفع آنذاك لقوم أو أمة أن يكون بين ظهرانيها طائفة صالحة أو عدد محدود من الأخيار!! إذا كانت حركتها العامة حركة منحرفة وكانت راضية بالفساد وخانعة للطغيان، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[١٠١] أي (احذروا فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة بل تتعدى إليكم جميعاً وتصل إلى الصالح والطالح)[١٠٢]، وهناك تقرير فريد جاء به القرآن عن إمكانية استمرار الحياة مع الكفر وعدم استمرارها مع الظلم و الفساد!! وهو ما جاء بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو

بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[١٠٣] فقد جاء في تفسيره؛ (ماكان الله ليهلك أَهْلَ الْقُرَى. "بِظُلْمٍ" أَيْ بِشِرْكٍ وَكُفْرٍ. " وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ " أَيْ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي تَعَاطِي الْحُقُوقِ، أَيْ لَمْ يَكُنْ لِيُهْلِكَهُمْ بِالْكُفْرِ وَحْدَهُ حَتَّى يَنْضَافَ إِلَيْهِ الْفَسَادُ، كَمَا أَهْلَكَ قَوْمَ شُعَيْبٍ بِبَخْسِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَقَوْمَ لُوطٍ بِاللِّوَاطِ، وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْمَعَاصِيَ أَقْرَبُ إِلَى عَذَابِ الِاسْتِئْصَالِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشِّرْكِ، وَإِنْ كَانَ عَذَابُ الشِّرْكِ فِي الْآخِرَةِ أَصْعَبَ)[١٠٤].

ب - الإصلاح السياسي والاجتماعي:

قبل الخوض في تفاصيل هذا الإصلاح أود أن أعلن بأن الذين يحرصون على دفع التهمة التي تُلصق بالحسين عليه السلام بأنه كان من طُلاب السلطة قد لا يكونون أفضلَ حالا من الذين يحاولون إلصاق تلك التهمة به ويدّعون إن هدف الحسين في نهضته كان هو الوصول إلى السلطة!! فأقول بصراحة إن حركة الحسين لم تكن ردّة فعل آنية أو عملا ارتجاليا حالما بل كانت حركة مُحكَمة خضعت لجميع شروطها المنطقية وأول تلك الشروط هو الوصول إلى السلطة والتمكن من الحكم من أجل القيام بالتغيير المنشود! فطلبُ السلطة يجب أن لا يُنظر إليه بمعزل عن الهدف النهائي من ورائه، وهو بهذا الوصف لا يكون تهمة بل يكون فضيلة إذا طلبها من هو مثلُ الحسين في طهره وعفته ونُبل أهدافه، لقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام إن مجرد الرفض للباطل وبيان بطلانه سيكون عملا محدود التأثير مع عدم التمكّن والأخذ بزمام الأمور فأخذ يبحث عن الأرض التي تتلقف دعوته ويمكن أن تؤازره في نيل مبتغاه فكانت الكوفة دون غيرها هي الوجهة المفضلة لديه بعدما أبدت استعداد مؤكدا ومغريا لدعم النهضة، نعم فقد كان الحسين يهدف إلى الوصول للسلطة!! ولكن السلطة عنده لم تكن هي الغاية النهائية والهدف الأخير بل كانت وسيلته المثلى للتغيير والإصلاح، فلنُصغ إليه جيدا وهو يقول: (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، و يأمن المظلومون من عبادك ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا قَوِيَ الظَلَمةُ عليكم، وعملوا على إطفاء نور نبيّكم، وحسبنا الله وعليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير)[١٠٥] ومن هذا المنطلق فإن الحسين هو أحق الناس بطلب السلطة

وهو في الوقت نفسه أبعدُهم عن مباهجها العابرة ومطامعها اللئيمة وحطامها الزائل.

لقد شكلت مسألة الحكم والخلافة مشكلة مزمنة بعد وفاة رسول الله - ﷺ- على الرغم من إن الرسول قد حسم تلك المسألة في حياته بعدما نص على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن من المتوقع إن تتجاوز الأنظار علياً إلى غيره في النهوض بأعباء قيادة الأمة بعد الرسول ﷺ وهو أيضا لم يكن يتوقع ذلك فقد قال: (فلمَّا مَضى ﷺ تَنازَعَ الْمُسْلِمُونَ الاَمْرَ مِنْ بَعْدِه، فَوَ الله مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي، وَلاَ يَخْطُرُ بِبَالِي، أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هذَا الاَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِه، وَلاَ أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِه)[١٠٦] وإبان حكم الخلفاء قبله لم يكن علي عليه السلام يهتم كثيرا بمسألة موالاة النظام ومعاداته قدر اهتمامه بسعادة الجماعة ونجاحها في الحياة. فطفق يقدّم خدماته الجليلة للمجتمع بغض النظر عن هوية السلطة، طالبا بذلك وحدة الأمة ومصلحتها العليا. وقد كلّف هذا العنوان الصعب عليّا عليه السلام الكثير من التضحيات في سبيله، عندما قام بتقييم الصورة الكلية لوضع الأمة آنذاك فآثر سلامتها على سلامته ومصلحتها على مصلحته مرددا: (لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللهِ لاُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاساً لأجر ذلِكَ وَفَضْلِه، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِه وَزِبْرِجِه)[١٠٧] فقد قدّر أمير المؤمنين جيدا الخطر الداهم على الأمة المتمثل بارتداد بعض القبائل العربية عن الإسلام وخروج بعض المتنبئين الكذابين في بعض أقطار الجزيرة، فعلم إن إظهار المزيد من الخلاف سيهدد الكيان الإسلامي برمته وسيرجع بالأمة إلى طوائف وقبائل متناحرة، وذلك ما كان يقض مضاجع علي - عليه السلام - فعلا، وقد عبّر عن ذلك بأوضح صورة حين قال يصف حالَهُ والأجواء العامة ذلك اليوم: (فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلاَنٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسلام، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّد فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسلام وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيه ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِه عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّام قَلاَئِلَ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الأَحداث حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ)[١٠٨] كما إنه رأى بثاقب نظره خطرا ثانيا لا يقل شأنا عن الخطر الأول تمثل بسعي بعض القوى الرجعية الداخلية ممن كانوا يكيدون للإسلام و يتربصون الفرص والدوائر للانقلاب عليه وأغلبهم من مسلمة الفتح والطلقاء، وكان على رأسهم جذرُ الأمويين

وعرّابهم أبو سفيان بن حرب الذي قَدِم على الإمام علي عليه السلام يومذاك يحرِّضه على مناجزة القوم الذين كانوا مع أبي بكر وهو يقول والله إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم أين المستضعفان أين الأذلان علي والعباس؟! وقال: أبا حسنٍ ابسط يدك حتى أبايعك!! فأبى عليٌ عليه وزجره وقال: إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيت الإسلام شرا لا حاجة لنا في نصيحتك[١٠٩] فتمت الخلافة لأبي بكر الذي حكم أكثر من سنتين ثم أوصى بالخلافة لعمر بن الخطاب فاستمر فيها أكثر من عشر سنوات، ولما توفّي عمر في ذي الحجَّة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، لم يكن باستطاعتة أن يوصي بالخلافة مباشرة إلى شخص بعده لتغيّر الظروف السياسية آنذاك، لكنه قبْل أن يقضي جعل الأمر بين ستة نفر من المسلمين هم ما عُرف فيما بعد بأهل الشورى، لكنه وضع نظاما ملتبسا لاختيار الخليفة من بينهم[١١٠]، وفي نهاية المطاف أنتجت عملية التصويت داخل ذلك المجلس المصغر تولية عثمان بن عفّان خليفة للمسلمين، ولم يكن متوقعا أن يتولى الأمر غيره بسبب حق النقض (الفيتو) الذي منحه عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف الذي كان قريبا لعثمان ومواليا له، و لم يكن علي- عليه السلام- مقتنعا بتلك النتيجة والآليات المفضية إليها ولكنه قَبِل بكل ذلك لفلسفة خاصة به، وتحدّث أبو الطفيل عن حادثة الشورى بما شهده وسمعه، فقال: كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت عليًّاً يقول: بايع الناس لأبي بكر، وأنا والله أولى بالأمر منه وأحقُّ به منه، فسمعتُ وأطعتُ مخافة أن يرجع الناس كفَّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثُمَّ بايع الناس عمر وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحقُّ به منه، فسمعتُ وأطعتُ مخافة أن يرجع الناس كفَّاراً يضرب بعضهم رقاب بعضٍ بالسيف، ثُمَّ أنتم تريدون أن تبايعوا عُثمان! إذاً أسمع وأُطيع[١١١] وللمرة الثالثة يضع علي- عليه السلام- الإسلام نصب عينيه طالبا رضى الرب ووحدة الأمة ومصالحها، مع عدم قناعته بالآليات الملتوية المتبعة في ذلك التصويت لرغبته بعدم الظهور وكأنه خارج عما ارتضته الأمة من آليات للحكم وتداول السلطة ولمقبولية مبدأ الشورى نفسه، فقد كان يقول: (وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ والأنصار فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُل وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذلكَ لله رِضىً)[١١٢] ويؤكد هذا المعنى ما ذكره الطبري في أمر الشورى: (إن العبّاس قال لعليّ: لا تدخل معهم، قال: أكره الخلاف، قال: إذاً ترى ما تكره)[١١٣] وقد فضّل عليٌّ - عليه السلام - أن يركب هذه الطرق البعيدة مع مشقتها

على نفسه لأنه وجد فيها الأمن من تفرق الأمة والاحتراب الداخلي.

ولّما تولى عثمان بن عفّان الحكم (وقعت في عهده الكثير من الإختلاقات وأخذوا عليه أحداثا كلها مُحالة على بني أمية. منها: رده الحَكم بن أمية[١١٤] إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله منها وكان يسمى طريد رسول الله، ومنها: نفيه أبا ذر[١١٥] إلى الربذة، وتزويجه مروان بن الحكم بنته وتسليمه خمس غنائم أفريقية له وقد بلغت مائتي ألف دينار، ومنها: إيواؤه عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان رضيعه بعد أن أهدر النبي عليه الصلاة والسلام دمه وتوليته إياه مصر بأعمالها، وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث إلى غير ذلك مما نقموا عليه)[١١٦]، وفي عهد عثمان الذي دام اثنتي عشر سنة بدأ تسلل الأمويين إلى السلطة واستحواذهم على مواقع القوة في الدولة الإسلامية، فمن بين تسعة وعشرين عاملا له على الأمصار كان منهم ثمانية من بني أمية، وكانت لهم الولاية على الأمصار التي تمثّل ثقل العالم الإسلامي آنذاك، وفيها تمكنوا من تعزيز سلطتهم وعلى وجه الخصوص معاوية بن أبي سفيان الذي كانت له ولاية الشام الغنية وكان سلطانه فيها شبه مستقل، مما كان له أثر كبير في استقلال معاوية بالسلطة وعدم اعترافه بخلافة علي بن أبي طالب- عليه السلام- فيما بعد. وقد برم أهل الأمصار من أولئك الولاة في الكوفة والبصرة ومصر وغيرها وانتشر السخط ولاحت بوادر الاضطراب في تلك الأمصار، فماجت الثورة وأضطرب الناس وحاصر المحتجون الخليفة في داره بالمدينة تسعة وأربعين يوما، حتى قتلوه في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥هـ[١١٧]. وبعد ثلاثة عهود من الصبر الثمين جاء الاختبار الأصعب عندما استدركت الأمة مافاتها بحق علي واندفعت لتبايعه بالخلافة فهبّ أهل المدينة عن بكرة أبيهم ليبايعوه (غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلاَ مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِين)[١١٨] واندفعوا إليه كعرف الضبع، وانثالوا عليه من كلّ جانب حتى لقد وطِئ الحسنان[١١٩] وقد كان عليٌّ يطمح إلى أن يبايعه جميع المسلمين في مختلف الأمصار مباشرة ولكنّ ذلك أمر ليس إليه سبيل فاكتفى أولا ببيعة أهل المدينة وعلى رأسهم المهاجرون والأنصار، جاعلا ذلك وكالة لهم عن غيرهم وحجة على الآخرين، وليس في ذلك مخالفة للقواعد الشرعية في الإنابة أو لقواعد الانتخاب العام في الأنظمة الديمقراطية الحرة، فإن رأي العوام ينطق به ممثلوهم من ذوي الرأي والمكانة الاجتماعية أو مايسمون بأهل الحلّ والعقد وليس أفضل من خيار المهاجرين والأنصار لتمثيل المسلمين، ومع ذلك فإن بيعة علي لم تقتصر على هؤلاء

بل كانت بيعة شعبية عامة دخل فيها أهل الأمصار كافة خلا الشام. وقد أكد علي- عليه السلام- على هذا المعنى بقوله:(وَلَعَمْرِي، لَئِنْ كَانَت الاْمَامَةُ لاَ تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، مَا إِلَى ذلك سَبِيلٌ، وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلاَ لِلغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ[١٢٠] (وفي رسالة منه إلى معاوية قال: (وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ والأنصار، فَإِن اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُل وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذلكَ لله رِضىً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْن أَو بِدْعَة رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ منه، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِه غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلاَّهُ اللهُ مَا تَوَلَّى)[١٢١] لكنّ الأمور لم تَسِر على ماكان يطيب لعلي -عليه السلام - وللمؤمنين فسرعان ما نكث الناكثون البيعة وخرجوا على الإمام حتى اضطر لقتالهم في معركة الجمل حفاظا على كيان الأمة من الهدم وذلك سنة ٣٦هـ[١٢٢] وبعد معركة الجمل انتظم الأمر لعلي - عليه السلام- بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان، ولم يبق خارج عنه إلا الشام، وفيه معاوية وأهل الشام مطيعون له، وحدثت بين علي ومعاوية مراسلات كثيرة لم تسفر عن شيء حتى سار جيشاهما الى صفين حيث وقعت بينهما المعركة المشهورة وكانت بينهم وقعات كثيرة بصفين، قيل كانت تسعين وقعة، وكانت عدة القتلى بصفين من أهل الشام خمسة وأربعين ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً، منهم ستة وعشرون رجلا من أهل بدر و دام القتال بها أياما فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها مكيدةً من عمرو بن العاص فكره الناس الحرب و تداعوا إلى الصلح و حكّموا الحكمين لينظروا في أمر الأمة فافترق الناس ورجع معاوية إلى الشام وعلي إلى الكوفة فخرجت عليه الخوارج من أصحابه و من كان معه و قالوا: لا حكم إلا الله و عسكروا بحروراء فبعث إليهم ابن عباس فخاصمهم و حجّهم فرجع منهم قوم كثير و ثبت قوم وساروا إلى النهروان فعرضوا للسبيل فسار إليهم علي فقتلهم بالنهروان و ذلك سنة ٣٨هـ واجتمع الناس بأذرح[١٢٣] في شعبان من هذه السنة للتفاوض وحدثت المكيدة عندما قدم عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري فتكلم فخلع عليا و تكلم عمرو فأقر معاوية وبايع له أهل الشام فتفرق الناس على هذا و صار علي في خلاف من أصحابه حتى صار يعضُّ على أصبعه و يقول: أُعصى و يطاع معاوية؟![١٢٤].

وفي كل تعاملاته مع مواطنيه ارتكز علي - عليه السلام- على دعامتين رئيستين هما؛ إيمانه بحقوق المواطنة المكفولة لجميع أفراد الشعب وأطيافه، وإيمانه الراسخ بوحدة الأمة، لقد كان علي يريد من شعبه طاعة الاختيار لا طاعة الإجبار، طاعة الأحرار لا طاعة العبيد، وقد

بالغ في نشدان تلك الحرية لأناس ضاق بهم الأفق وقصرت بهم الهمة!! وكان من أولى مهمات علي بن أبي طالب - عليه السلام- في خلافته هو إلغاء التمييز الطبقي والعرقي بين الناس لأنه كان يعلم إن توفير العدالة لأبناء الأمة هو من أوجب شروط وحدتها واستقرارها، وتلك كانت مهمة شاقة جرّت عليه سخط الكثيرين الذين كانوا يتمتعون بمكاسب ذلك التمييز، فقد عوتب الأمير- عليه السلام- على تصييره الناس إسوة في العطاء من غير تفضيل إلى الحسب والنسب، فاستنكر ذلك العتاب قائلا: (أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللهِ لاَ أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ[١٢٥] وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ الْمَالُ لي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ لَهُمْ)[١٢٦] وقد وضع أمير المؤمنين عليه السلام من خلال فترة حكمه منهجا ومثالا لنظام الحكم الإسلامي المنشود الذي سيكون معيارا يُقاس عليه صلاح الحكومات أو فسادها منذ ذلك الحين وإلى يوم الناس هذا!! وكان من سوء حظ الأمويين أن يأتي حكمهم المنحرف مباشرة ودون فاصل بعد ذلك النموذج الزاهر، ليتبين للناس البون الشاسع بين الحكمين مع أدنى مقارنةٍ بينهما!!

ومما مرّ يتبين لنا إن هناك طريقين شرعيين لا ثالث لهما في اختيار المسلمين لخلفائهم وولاة أمرهم مهما اختلفت الأزمان والأمكنة وهما؛ طريق النص الإلهي المحدد على شخص بعينه من قبل الله تعالى أو من قبل رسوله -صلى الله عليه وآله-، وحين لا يتيسر فهم هذا النص - كما يدعي البعض - أو لا يتم تفعيله لسبب من الأسباب يتم اللجوء إلى الطريق الشرعي الثاني وهو الشورى أو الانتخاب المباشر، فمن صفات المؤمنين إنهم متعاونون على البرّ والتقوى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[١٢٧].

ومع استشهاد الإمام علي بن أبي طالب بويع ولده الحسن عليه السلام بالخلافة فورث كل مشاكل أبيه وأكبرها مشكلة خروج أكبر الأمصار وهو الشام عن طاعته، وتلك الرعية المتكاسلة المنقسمة داخليا والتي أتعبتها الحروب وكانت مستعدة للرضا بأسرع الحلول حتى لو كلّفها ذلك الشيء الكثير من كرامتها وولائها. فقد (بايع أهل العراق الحسن بن علي بالخلافة فطفق يشترط عليهم الحسن إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتاب أهل العراق في أمرهم حين اشترط عليهم هذا الشرط وقالوا ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا إلاّ القتال)[١٢٨] وأقام الحسن بن علي بعد أبيه شهرين، وقيل

أربعة أشهر، ووجه بعبيد الله بن العباس في اثني عشر ألفا لقتال معاوية، ومعه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري[١٢٩] وكان معسكر الحسن -عليه السلام- هشاً تسري فيه الشائعات والأراجيف بسرعة (وكان معاوية قد أدرك بدوره نقطة الضعف هذه في جيش الحسن عليه السلام فاستغلها ببراعة وأخذت مناوراته ودسائسه تفعل فعلها في أوساط المترددين وهم كثرة، وتمكن من تأليب كبار القواد عليه وتخذيلهم عنه بشتى المغريات. ولعل من أقسى ما تعرض له الحسن تواطؤ قائده وابن عمه عبيد الله بن عباس مع معاوية وتسلله إلى معسكره ليلا ومعه القوة الأساسية من الجيش)[١٣٠] وأخيرا سرت في معسكر الحسن عليه السلام شائعة تقول إن قيسا ابن سعد قد قُتل (فاختبط الناس وانتهب الغوغاء سرادق الحسن حتى نازعوه بساطا تحته، وطعنه رجل من الخوارج من بني أسد بخنجر، فوثب الناس على الرجل فقتلوه، ونزل الحسن القصر الأبيض بالمدائن، وكاتب معاوية في الصلح)[١٣١] على شروط لم يف معاوية بأيٍّ منها، وأنتقل الحكم إلى معاوية بن أبي سفيان فكان ذلك طعنة نجلاء في صدر المشروع العلوي بل في صدر الإسلام وقيمه المجيدة! فلم يترك معاوية الأمر للمسلمين لينتخبوا خليفتهم من بعده فقد أخذ البيعة عنوة لأبنه يزيد في حياته سنة ٥٦هـ[١٣٢] وبعد هلاك معاوية تم تنصيب يزيد للخلافة في رجب سنة ٦٠هـ[١٣٣] مما أثار سخط المسلمين لأن ذلك يُعدّ ابتداعا في الإسلام ولأن سيرة يزيد نفسه لم تكن مرضية عند جميع المسلمين. وكان ممن أمتنع عن بيعته الحسين بن علي بن أبي طالب - عليه السلام - وعبد الله بن الزُّبَيْر بن العَوَّام، فقد (كان اعتلاؤه عرش الخلافة ضربة قاضية للمبدأ الجمهوري القائل بأن أمير المؤمنين يجب أن ينتخب بالشورى.. وكان يزيد ظالما وغدّارا في وقت واحد ولم يكن من طبعه الشفقة والرحمة وكان منغمسا في ملذاته معاشرا لرفاق السوء)[١٣٤].

إن استحواذ معاوية على السلطة وتوريثها لابنه يزيد أثار سخطا واسعا لدى جميع المسلمين في كافة الأقطار على بني أمية، كما إن (أحدا لن ينسى أبدا للأمويين أنهم كانوا من أول أمرهم أخطر أعداء النبي، وأنهم لم يعتنقوا الإسلام إلا في الساعة الأخيرة، فهم كانوا مغتصبين وظلوا كذلك ولم يكونوا يستندون إلا إلى قوتهم الخاصة)[١٣٥] فكانت ثورة الحسين - أول محاولة كبيرة للإصلاح السياسي وبعث المشروع المحمدي العلوي ضد المشروع الأموي الذي استحوذ على كل شيء وصار الآن متحكما بجميع مقدرات الأمة، وكانت محاولة الحسين عليه السلام أول انتفاضة مسلحة ضد طغيان الأقلية الحاكمة التي استأثرت بالخلافة

وحولتها إلى ملك وراثي عضوض (فالحسين هو الممثل الطبيعي للتيار الاجتماعي الإسلامي، وقد كان صوت الجماهير التي افتقدت مواقعها المكتسبة في الإسلام، ومن الخطأ الفادح أن تقيّم ثورة الحسين على إنها حركة محلية اتخذت من الكوفة مسرحا لها، أو مجرد تسجيل لموقف سطحي أو ارتجالي من الخليفة بل هي ثورة على النظام القائم بكلّ مساوئه وتحديدا مبدأ الوراثة المرفوض)[١٣٦] كما إنها كانت ثورة على الأوضاع الطبقية والقبلية التي أخذت تتحكم في المجتمع وتنخر في نسيجه. ومن الخطأ أن يردد البعض إن الحسين قد ثار على يزيد وخرج على الخليفة!! لأن الخليفة الحقّ والحاكم الشرعي كان هو الإمام الحسين -عليه السلام- وفق كلّ النصوص الشرعية والفروض الأخلاقية والاجتماعية، بل كان يجب أن يكون هو الحاكم الرسمي وفق شروط الصلح التي تمت بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية والتي كان منها؛ تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله وأن يكون الأمر للحسن عليه السلام من بعده، فان حدث به حدث فلأخيه الحسين عليه السلام وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد!![١٣٧] وهكذا فإن نهضة الحسين قد ركزت على إصلاح الانحراف السياسي في وضع صار كل شيء فيه خاضعا للسياسة وتحكمها وستكون تلك النهضة ملهمة لجميع الحركات السياسية في تأريخ الأمة، حتى ما كان منها بعيدا عن الدين وأطروحته (فقد شحنت ثورة الحسين الفكر السياسي في الإسلام بمادة جديدة من التحدي الصعب والانتصار على الذات من أجل المبدأ)[١٣٨] بل إن تلك النهضة أعطت دروسا عملية بليغة في عدم الركون إلى كظة الظالم ومواجهته بكل حزم وشهامة في كلّ زمان ومكان. وكان من النتائج الأولى والسريعة لتلك النهضة هي حركة التوابين سنة ٦٥هـ وثورة المختار الثقفي سنة ٦٧هـ في الكوفة، ناهيك عن الثورات الزيدية وغيرها على مرّ العصور، بل إن إلهام الحسين كان حاضرا في فكر جميع الأحرار في العالم عبر التأريخ.

وعلى الصعيد الاجتماعي فقد كان الأمويون ينظرون إلى خيرات الدولة الإسلامية بأنها طُعمةً خالصةً لهم من دون المسلمين، وهم لم يترددوا أن يعلنوا ذلك جهارا فقد كان سعيد بن العاص يقول: (إن السواد بستان لقريش وبني أمية)[١٣٩]، وقد حظيت السلطة الأموية بدعم القوى الرجعية في جميع مراحلها ولم يدخر الأمويون ومَن ناصرهم من الأشراف وزعماء القبائل جهدا في تعزيز نفوذهم وقمع معارضيهم خصوصا الشيعة منهم،

لأن نطاق التشيع قد تحدد آنذاك (واتخذ شيئا فشيئا صورة فرقة دينية في تعارض مع الأرستقراطية ونظام العشائر وأصبح بفضل استشهاد زعمائه وأوليائه ذا طابع مثالي)[١٤٠].

ومع إن فساد بني أمية بدأ منذ تسللهم إلى السلطة إبان خلافة عثمان بن عفان كما أسلفنا، لكنه بلغ أوجَه عندما تولى معاوية بن أبي سفيان الحكم، فهو لم يترك جريمة إلا وارتكبها ولابدعة إلا وأحياها ولا سنّة إلا وأماتها، حتى إنه أرسل طاغيته بسر بن أرطأة إلى اليمن، فسبى نساء مسلمات، فأقمن في السوق للبيع!! وبعثه إلى الحجاز واليمن يقتل من كان في طاعة علي وغيرهم، فأقام بالمدينة شهراً لا يقال له: هذا ممن أعان على قتل عثمان، إلا قتلة. وهدم بالمدينة دوراً كثيرة، وصعد المنبر وصاح: لولا عهد أمير المؤمنين ما تركت بها محتلماً إلا قتلته!![١٤١] وهكذا فعل جلاوزة معاوية بالمسلمين في أمصار الدولة من أمثال الشقي سمرة بن جندب الذي كان يُحدث أحداثا عظيمة من قتل الناس وظلمهم وقد وصل به الاستخفاف بدماء المسلمبن أنه قُدّم إليه بضعة عشر رجلاً، فأخذ يسأل الرجل منهم ما دينك؟! فيقول الإسلام ديني ومحمّد نبيّي فيقول للسيافين: قدّماه فاضربا عنقه، فإن يك صادقا فهو خير له!! واستخلفه زياد بن أبيه على البصرة، وخرج إلى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف، فقال له: هل تخاف أن تكون قتلت بريئا؟ فقال: لو قتلت مثلهم لم أخف أن أقتل بريئاً[١٤٢] وبذل معاوية الأموال للرواة لكي يضعوا الأحاديث المزيفة في فضائله وألزم الخطباء والأئمة والقضاة بذكرها على المنابر في كل كورة وكل مسجد زورا، وألقوا ذلك إلى معلمي الكتاتيب فعلموا ذلك صبيانهم، كما يعلمونهم القرآن، حتى علموه بناتهم ونساءهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله وكتب زياد بن أبيه إليه في حق الحضرميين[١٤٣]: أنهم على دين علي، وعلى رأيه فكتب إليه معاوية: أقتل كل من كان على دين علي ورأيه فقتلهم ومثل بهم. وكتب كتابا آخر جاء فيه انظروا من قبلكم من شيعة علي واتهموه بحبه فاقتلوه وإن لم تقم عليه البينة فاقتلوه على التهمة والظنة والشبهة تحت كل حجر!! حتى لو كان الرجل تسقط منه كلمة ضُربت عنقه، حتى لو كان الرجل يُرمى بالزندقة والكفر كان يُكرّم ويُعظم ولا يُتَعرض له بمكروه والرجل من الشيعة لا يأمن على نفسه في بلد من البلدان لا سيما الكوفة والبصرة، فلما مات الحسن بن علي ازداد البلاء والفتنة، فلم يبق لله ولي إلا خائف على نفسه، أو مقتول أو طريد، أو شريد!![١٤٤].

وهكذا أصاب الخوف والذعر جميع الأمصار، وتفشت الفتنة بين مكونات المجتمع، فتحول سفلة الناس وأراذلهم إلى سادة يحظون بمكرمات السلطان وعطاياه بعد أن ارتضوا أن يكونوا من جلاوزته وجلاديه أو من الذين يروّجون له ويخترعون له الفضائل المزعومة، أو من الذين يمارسون الوشاية والتجسس على الأبرياء والشرفاء!! لقد كان قلبُ الحسين عليه السلام يتفطّر وكبده تتفرى وهو يرى ما وصلت إليه أحوال الأمة وانحدرت إليه أخلاق الناس وعلاقاتهم الاجتماعية، فخشي وهو الرؤوف بالدين و الحريص على الأمة أن تبوء أمته بسخط الله ومحقه، متحرّزا من المصير الذي أنبأ به رسول الله - صلى الله عليه وآله - حين قال: (لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يداهن قراؤها أمراءَها، ولم يزكِّ علماؤها فجّارَها، وما لم يُهن خيارَها أشرارُها، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم)(١٤٥).

وهنا قد يسأل سائل: إن كانت الأمور على هذه الدرجة من الانحطاط والسوء فلماذا لم يخرج الحسين على معاوية؟! إن جواب ذلك قد يكون مرتبطا بحرص الحسين عليه السلام على احترام العقود والاتفاقيات التي كانت بين أخيه الحسن -عليه السلام - وبين ومعاوية والتي تم الصلح بموجبها، مع إن معاوية نفسه لم يلتزم بأي بند من بنودها! لكن متابعة التأريخ تؤكد شيئا مختلفا عن التصور الشائع عن النهضة الحسينية والظن الخاطئ بأنها انطلقت في عهد يزيد!! فكل الدلائل تؤكد إن إرهاصات النهضة لدى الحسين بدأت في زمن معاوية!! ومنها المؤتمرات العامة التي كان الإمام الحسين-عليه السلام - يعقدها في جموع الأمة من كافة أقطار الدولة الإسلامية من أجل بيان انحراف معاوية وحث الناس على الانتفاض على جوره وطغيانه ومنها مؤتمر منى الذي عقده الحسين سنة ٥٨هـ (فلما كان قبل موت معاوية بسنتين حج الحسين بن علي عليه السلام وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عباس معه. وقد جمع الحسين ابن علي عليه السلام بني هاشم رجالهم ونساءهم، ومواليهم، وشيعتهم، من حج منهم ومن لم يحج، ومن الأنصار ممن يعرفونه، وأهل بيته، ثم لم يدَعْ أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أبنائهم والتابعين، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلا جمعهم فاجتمع عليه بمنى أكثر من ألف رجل، والحسين عليه السلام في سرادقه، عامتهم التابعون وأبناء الصحابة، فقام الحسين عليه السلام فيهم خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: فإن الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وأني أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي، واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى

أمصاركم وقبائلكم، من أمنتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فإني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب والله متم نوره ولو كره الكافرون، فما ترك الحسين شيئا أنزل الله فيهم من القرآن إلا قاله وفسره، ولا شيئا قاله الرسول في أبيه وأمه وأهل بيته إلا رواه، وكل ذلك يقول الصحابة: اللهم نعم قد سمعناه وشهدناه، ويقول التابعون: اللهم قد حدثنا من نصدقه ونأتمنه. حتى لم يترك شيئا إلا قاله، ثم قال: أنشدكم بالله إلا رجعتم وحدثتم به من تثقون به، ثم نزل وتفرق الناس على ذلك)[١٤٦] ولم يترك الحسين- عليه السلام- مناسبة تمر دون أن يُجابه معاوية ويذكّره بسوء أفعاله، ومنها كتابه الذي كتبه إلى معاوية عندما اتهمه الأخير بمحاولة شق عصا الأمة وجاء فيه: (ألست قاتل حجر بن عدي أخي كندة[١٤٧] وأصحابه الصالحين المطيعين العابدين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون المنكر والبدع، ويؤثرون حكم الكتاب، ولا يخافون في الله لومة لائم، فقتلتهم ظلما وعدوانا، بعدما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في صدرك عليهم، أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فصفّرت لونه، ونحّلت جسمه، بعد أن أمّنته وأعطيته من عهود الله عزّ وجل وميثاقه ما لو أعطيته العُصْم[١٤٨] ففهمته لنزلت إليك من شعف الجبال، ثم قتلته جرأة على الله عز وجل واستخفافا بذلك العهد، أو لست المدعي زياد بن سمية، المولود على فراش عبيد عبد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله: " الولد للفراش وللعاهر الحجر " فتركت سنّة رسول الله واتبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على أهل العراق فقطع أيدي المسلمين وأرجلهم وسمل أعينهم، وصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك؟! أولَست صاحب الحضرميين الذين كتب إليك فيهم ابن سمية أنهم: على دين علي ورأيه، فكتبت إليه اقتل كل من كان على دين علي عليه السلام ورأيه فقتلهم، ومثل بهم بأمرك، ودين علي والله وابن علي الذي كان يضرب عليه أباك وهو أجلسك بمجلسك الذي أنت فيه ولولا ذلك لكان أفضل شرفك وشرف أبيك تجشم الرحلتين اللتين بنا منَّ الله عليكم فوضعهما عنكم؟ وقلت فيما تقول أنظر نفسك ولدينك ولأمة محمد صلى الله عليه وآله، واتقِ شقَّ عصا هذه الأمة، وأن تردَّهم في فتنة، فلا أعرف فتنة أعظم من ولايتك عليها، ولا أعلم نظرا لنفسي وولدي وأمة جدي أفضل من جهادك!! فإن فعلته فهو قربة إلى الله عز وجل، وإن تركته فأستغفر الله لذنبي وأسأله توفيقي لإرشاد أموري، وقلت

فيما تقول إن أنكرك تنكرني، وإن أكدك تكدني، وهل رأيك الّا كيدُ الصالحين منذ خُلقتَ؟! فكدني ما بدا لك إن شئت فإني أرجو أن لا يضرني كيدك، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، على أنك تكيد فتوقظ عدوك وتوبق نفسك، كفعلك بهؤلاء الذين قتلتهم ومثلت بهم بعد الصلح والأيمان والعهد والميثاق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قتلوا إلا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا بما به شَرُفت وعُرفت، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا، أبشر يا معاوية بقصاص، واستعد للحساب، واعلم أن لله عز وجل كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وليس الله تبارك وتعالى بناس أخذك بالظنة، وقتلك أولياءه بالتهمة، ونفيك إياهم من دار الهجرة إلى دار الغربة والوحشة وأخذك الناس ببيعة ابنك، غلام من الغلمان، يشرب الشراب، ويلعب بالكعاب لا أعلمك إلا قد خسرت نفسك، وشريت دينك، وغششت رعيتك وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل وأخفت التقي الورع الحليم)[١٤٩]، فهل هذا لسان امرىءٍ قد اكتفى بشأنه دون شأن الأمة أو انشغل بنفسه دون نفوسهم أو سكن على الظلم ورضي بالمذلة؟! أم إنه لسان قائد بصير يمهّد لنهضته ويستعد لوثبته متى ما وجد الأمور قد تهيأت والثمار قد اينعت؟! فكيف يقال إن ثورة الحسين عليه السلام بدأت مع تولي يزيد بالتحديد وأنه كان راضيا ومعتزلا قبل ذلك؟!

خاتمة البحث:

الحمد لله الذي يسّر لي سُبل البحث وأعانني على بيان الارتباط الوثيق بين معارف القرآن الكريم ونهضة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام وآمل أن تكون النتائج التي خلص إليها بحثي مفيدة في توسيع آفاق فهمنا لتلك النهضة المباركة، وفي دفع الباحثين باتجاه التأصيل العلمي لمفاهيمها ودلالاتها من كتاب الله الكريم، ومن خلال صفحات هذا البحث تبيّنت الحقائق الآتية:

١ - يحتل الإصلاح مكانةُ مركزية مرموقة في القرآن الكريم، ظهرت من خلال عناية القرآن بمفهوم الصلاح والإصلاح، فقد ورد لفظ (الصلاح) باشتقاقاته المختلفة في (١٧٨) موضعا منه، وقد رحبُت ميادين الإصلاح في القرآن الكريم، فشملت إصلاح الفرد لشئونه الخاصة في عقيدته وعباداته ومعاملاته وأخلاقه وإصلاحه في

أهله وأفراد أسرته، وإصلاحه بين الناس في السياسة والاجتماع، فهو شامل لأمر الدين والدين معا.

٢ - حدّد الإسلام صفات المصلح وشروطه، وأهمها؛ سلامةُ نيته وقصدُ قربته إلى اللهِ تعالى وحسنُ توّكله عليه في عمله الإصلاحي، وأوجب علمَ المصلح ودرايته بمطالب الشريعة وحقائق الأمور، كما اشترط سريان الصلاح من ذات المصلح إلى غيره وعدم اكتفائه بصلاح ذاته وأموره الشخصية. وميّز نوعين من أنواع الإصلاح ومرتبتين من مراتبه، هما؛ الإصلاح السلبي (الهدمي) الذي يتوجه نحو العمل أو النظام الفاسد لهدمه ونقضه وتغييره، ويبدأ بكراهية المنكر واستنكاره ثم السعي لإزالته، وكذلك عدم الدخول في مشروع الفساد وولايته. والنوع الثاني هو الإصلاح الإيجابي (البنائي) الذي يتم بطريقتين هما: الإصلاح بالمثل الأعلى (القدوة الحسنة)، والإصلاح بقوة القانون وقهر السلطة.

٣ - تلّمس البحث منابع السمة الإصلاحية في شخصية الإمام الحسين عليه السلام فوجد إنها سمة أصيلة فيه، ولم تكن شعارا مرحليا يعبّر عن ردّة فعل آنية لرجل ضاق ذرعا بالوضع الجائر!! بل جاءت تعبيرا عن خصائص شخصيته الفريدة التي بُنيت من رافدين رئيسين هما؛ طهارة أصله وسمو تربيته، ووعيه التأريخي العميق لوجود الأمة ومشاكلها السياسية والاجتماعية والذي تشكل من مواكبته لمراحل مفصلية في التأريخ الاجتماعي والسياسي للإسلام، فتلك الخصائص الشخصية وذلك الوعي كانا هما الدافع الرئيس في تبنى الإمام الحسين -عليه السلام- لمشروع الإصلاح، بعدما أيقن إن التأخر في النهضة كان يعني القضاء المبرم على مشروع الرسالة المحمدية المجيدة وطموحها الخلّاق في بناء المجتمع الفاضل و دولة العدالة. فلا شك إن الملايين من أبناء الأمة في وقت نهوض الحسين-عليه السلام- كانت تتعرض لنفس الظروف التي تعرض لها أبو عبد الله وربما أقسى، لكنه الوحيد الذي انبرى من بين تلك الجموع الغفيرة ليقول كلمةً آثر غيره ابتلاعها أو مداراتها بسبب حساسية الإمام الحسين المفرطة لكل ما هو منحرف

٤ - كانت مطالب الإصلاح في النهضة الحسينية الشريفة شاملة، فالإمام الحسين عليه السلام طلب الإصلاح بصفقة واحدة لم تستهدف جانبا دون آخر من جوانب الحياة، بل

استهدفت إصلاحا شاملا لجميع نواحيها، فحركته المخلصة لم تقتصر على الجانب الديني والروحي والأخلاقي فحسب، بل شملت كل ما له علاقة بحياة الناس في السياسة والحقوق الاجتماعية والاقتصادية لجميع المكونات والأفراد، بعدما تمادت السلطة الأموية الغاشمة في تحريف الدين و الإستيلاء على تلك الحقوق وتسخير سلطتها لتفتيت المجتمع والعودة به إلى الروح الجاهلية والقبلية التي جاء الإسلام لمحاربتها والقضاء عليها، وقد بدأ الحسين عليه السلام الإعداد لنهضته مع تولي معاوية بن أبي سفيان الحكم، ببيان إنحرافه وطغيانه للناس من خلال المؤتمرات العامة التي كان يعقدها الحسين ومنها مؤتمر منى سنة ٥٨هـ.

٥ - كانت محاولة الحسين عليه السلام أول انتفاضة مسلحة ضد طغيان الأقلية الحاكمة التي استأثرت بالخلافة وحولتها إلى ملك وراثي عضوض، كما إنها لم تستهدف النظام فحسب، بل كانت ثورة على الأوضاع الطبقية والقبلية التي أخذت تتحكم في المجتمع وتنخر في نسيجه، وقد شحنت ثورة الحسين الفكر السياسي في الإسلام بمادة جديدة من التحدي الصعب والانتصار على الذات من أجل المبدأ، كما ألهمت ثورة الحسين الكثير من حركات التحرر في العالم الإسلامي عبر القرون، بل إن إلهام الحسين عليه السلام كان حاضرا في فكر جميع الأحرار في العالم عبر التأريخ.

هوامش البحث

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٥١٦
(٢) الجوهري، الصحاح، ج ١، ص ٣٨٤
(٣) العسكري، الفروق اللغوية، ص ٣٢٠
(٤) سورة الأعراف: ٥٦
(٥) سورة الأعراف: ٨٥
(٦) سورة الجاثية: ١٣
(٧) سورة إبراهيم: ٣٤
(٨) سورة يونس: ٤٧

(٩) سورة فاطر: ٢٤
(١٠) الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٤٢٥
(١١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٢٨٥
(١٢) الشيرازي، الفقه (البيئة)، ص ٢٠
(١٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٤، ص ٢٨٣
(١٤) أبن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٣٥٢ و ٣٥٣
(١٥) سورة الانبياء:١٠٥
(١٦) سورة البقرة: ٢٧٢
(١٧) سورة الإنسان: ٩
(١٨) سورة الروم: ٣٨
(١٩) سورة الليل: ١٨ - ٢١
(٢٠) سورة الرعد: ٢٢
(٢١) البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٢، ج٣، ص١١٩، ج٤، ص٢٥٢، ج٦، ص١١٨، ج٧، ص٢٣١، ج٨، ص٥٩ ، كما جاء في بقية الصحاح بألفاظ مختلفة.
(٢٢) سورة آل عمران: ١٥٩
(٢٣) سورة آل عمران: ١٦٠
(٢٤) سورة المجادلة: ١١
(٢٥) سورة البقرة: ٣١
(٢٦) سورة النحل: ٧٨
(٢٧) سورة البقرة: من الآية ٦٧
(٢٨) الأعراف: ١٩٩
(٢٩) سورة الأنعام: من الآية ٣٥
(٣٠) سورة هود: من الآية ٤٦
(٣١) المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج١٦، ص١٩٨، والغار هو الغافل المغتر، الأغباش: جمع غبش وهو الظلمة، الهدنة: مغتر بتسليم الجهلة له، المبهمات: المسائل الشائكة، العشوة: الظلمة، ينظر: الزمخشري، الفايق في غريب الحديث، ج١، ص٤٠٤، ٤٠٥.
(٣٢) سورة البقرة: ٤٤
(٣٣) الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج ١، ص ١٢٥
(٣٤) سورة الصف: ٢، ٣
(٣٥) سورة آل عمران: من الآية ١١٠.

(٣٦) الطبرسي، مجمع البان في تفسير القرآن، ج٢، ص٣٦٣.
(٣٧) البخاري، صحيح البخاري، ج١، ٣٠٤.
(٣٨) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٦٤.
(٣٩) سورة هود: ٨٨
(٤٠) الشيخ الصدوق، الخصال، ص٥٤٣ - ٥٤٤
(٤١) الرضي، نهج البلاغة، ج١، ص٤٠.
(٤٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، ص٤٠٠.
(٤٣) سورة النساء: ٨١
(٤٤) سورة الأنعام: ١٠٦
(٤٥) سورة الأعراف: ١٩٩
(٤٦) سورة المزّمِّل: ١٠
(٤٧) الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٥٩
(٤٨) الفيض الكاشاني، الوافي، ج ١٥، ص ١٨٦
(٤٩) سورة الحجر: ٩٤
(٥٠) سورة النساء: ٦٣
(٥١) ابن حنبل، مسند ابن حنبل، ج ١٧، ص ٢٣٩
(٥٢) سورة هود: ١١٣
(٥٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ١٩٣٢
(٥٤) الشيخ الصدوق، الخصال، ص ٥٤٣ - ٥٤٤
(٥٥) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ١٥٤
(٥٦) سورة الأنعام: ٩٠
(٥٧) سورة الأحزاب:٢١
(٥٨) الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص١١٠.
(٥٩) سورة التوبة: ٧١
(٦٠) سورة الأنفال: ٧٣.
(٦١) سورة آل عمران: من الآية ٢٨.
(٦٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص ١٥٥٩، ١٥٦٠.
(٦٣) سورة البقرة: ١١، ١٢
(٦٤) سورة البقرة: ٢٥١.
(٦٥) سورة الحج: ٤.

(٦٦) سورة الحديد: ٢٥.
(٦٧) الكليني، الكافي، ج٥، ص٣
(٦٨) ابن أبي شيبة، المصنف، ج٦، ١٧٥.
(٦٩) سورة آل عمران: ٣٣، ٣٤.
(٧٠) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١١، ص٤٢٣ والحديث صحيح رواه مسلم في صحيحه، ينظر: مسلم، صحيح مسلم، ج٧، ص٥٨ ؛ وينظر كذلك: الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص٥٨٣.
(٧١) الحديث صحيح، أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٤، ص١٩٤.
(٧٢) تواتر هذه الحديث عند المسلمين فقد أخرجه معظم أرباب الحديث والسير، ومنهم الإمام أحمد، وابن ماجه، والترمذي والحاكم النيسابوري، والبيهقي، والطبراني وابن أبي شيبة وعشرات غيرهم
(٧٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٠٩.
(٧٤) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٢٢٦
(٧٥) ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص ١٢
(٧٦) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨٣
(٧٧) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩
(٧٨) الحاكم، المستدرك، ج٣، ص١١٦.
(٧٩) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص٣٤٣.
(٨٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٤٠
(٨١) سورة النحل:٩٧
(٨٢) الآمدي، غاية المرام في علم الكلام، ص٣٦٤ - ٣٦٧.
(٨٣) ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤، ص٧٢.
(٨٤) ابن جماعة، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ص٤٨.
(٨٥) النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ج١٠، ص٤٢.
(٨٦) ينظر: الأشبيلي، الأحكام الشرعية الكبرى، ج١، ص١١٧.
(٨٧) ينظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص٤٦٠.
(٨٨) ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص١٦٨.
(٨٩) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٦٢، ٢٦٥؛ ابن الأثير، الكامل في التأريخ، ج٤، ص١٢٧.
(٩٠) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٣.
(٩١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٠.
(٩٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٣٨٢.
(٩٣) الشيخ المفيد، الإرشاد الوفاة، ج ٢، ص ٣٩

(٩٤) سورة الحج: ٤١
(٩٥) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ١٧
(٩٦) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩
(٩٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٨٩.
(٩٨) المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٧، ص٧٩ - ٨٠
(٩٩) سورة المائدة: ٧٩.
(١٠٠) العلامة الحلي، تحرير الأحكام، ج٢، ص٢٣٩ - ٢٤٠.
(١٠١) سورة الأنفال: ٢٥.
(١٠٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٥، ص٤٧٣
(١٠٣) سورة هود: ١١٦، ١١٧
(١٠٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ١١٤
(١٠٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٧، ص٨١.
(١٠٦) الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص١١٩.
(١٠٧) الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص١٢٤.
(١٠٨) الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص١١٩.
(١٠٩) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢٣٧.
(١١٠) يُنظر: الطبري، تأريخ الأمم والملوك، ج١، ص٥٨١ - ٥٨٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٨٨.
(١١١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج٥، ص ٧٢٥
(١١٢) الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٧.
(١١٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٥٨٠.
(١١٤) الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو مروان وابن عم أبي سفيان، من مسلمة الفتح، نفاه النبي ﷺ إلى الطائف لأنه حكاه في مشيته، وفي بعض حركاته، فسبه وطرده، وروي عن النبي ﷺ قال: (مالي أُريت بني الحكم ينزون على منبري نزو القردة) وعن أبي هريرة عن الشعبي قال: سمعت ابن الزبير يقول: ورب هذه الكعبة إن الحكم بن أبي العاص وولده ملعونون على لسان محمد ﷺ، مات سنة إحدى وثلاثين. ينظر: الذَهَبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١٠٨.
(١١٥) أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري من السابقين الأولين، من نجباء أصحاب محمد ﷺ، كان خامس خمسة في الإسلام، وكان يفتي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وكان رأسا في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوّالا بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر. توفي سنة ٣٢هـ، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٤.

(١١٦) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٢٦.
(١١٧) ابن الأثير، الكامل في التأريخ، ج٣، ص٣٨٢.
(١١٨) الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٣.
(١١٩) الرضي، نهج البلاغة، ج١، ص٣٦.
(١٢٠) الرضي، نهج البلاغة، ج٢، ص٨٦.
(١٢١) الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٧.
(١٢٢) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ص١٢١.
(١٢٣) وهو اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء وعمان، مجاورة لأرض الحجاز، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٢٩.
(١٢٤) السيوطي، تأريخ الخلفاء، ص١٥٧.
(١٢٥) لا أطُورُ به: أي: لا أمُرّ به ولا أقاربه. ما سَمَرَ سمير: أي مدى الدهر.
(١٢٦) الرضي، نهج البلاغة، ج٢، ص٧.
(١٢٧) سورة الشورى: من الآية ٣٨
(١٢٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص١٢٣.
(١٢٩) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١٤ - ٢١٥.
(١٣٠) بيضون، التوابون، ص٥٢.
(١٣١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٣، ص٢٦٢.
(١٣٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٥٥.
(١٣٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٥٠.
(١٣٤) سيد مير علي، مختصر تأريخ العرب، ص٩٠.
(١٣٥) ولهاوزن، تاريخ الدولة العربية.. من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ص٦٠.
(١٣٦) بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، ص١٩١ بتصرّف
(١٣٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٣، ص٢٦٤.
(١٣٨) بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، ص١٩١.
(١٣٩) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١٢٩.
(١٤٠) ولهاوزن، الخوارج والشيعة، ص١٤٥.
(١٤١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٣٦٩ - ٣٧٠.
(١٤٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٢١٠.
(١٤٣) الحضرميان هما: مسلم بن زيمر، وعبد الله بن نجى صلبهما زياد بن أبيه على أبوابهما أياما بالكوفة وذلك بأمر معاوية.

(١٤٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٢٦.
(١٤٥) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص١٠٩.
(١٤٦) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص١٨ - ١٩.
(١٤٧) حجر بن عدي بن. له صحبة ووفادة. وكان شريفا، أميرا مطاعا، أمارا بالمعروف، من شيعة علي. شهد صفين أميرا، وكان ذا صلاح وتعبد. قبض عليه زياد بن أبيه وسيّره إلى معاوية في الشام مع جماعة فقتلهم معاوية صبرا في مرج عذراء سنة ٥١هـ.
(١٤٨) العُصم جمع أعصم وهو الوعل الذي يقطن الجبال.
(١٤٩) العاملي، الدر النظيم، ص٥٣٣، ٥٣٤.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن المجيد**

٢ - **الآمدي**، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم (ت٦٣١هـ)، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، الطبعة الثانية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٤م.

٣ - **ابن الأثير**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت٦٣٠هـ): الكامل في التأريخ دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

٤ - **الأشبيلي**، أبو محمد عبد الحق (ت٥٨١هـ): الأحكام الشرعية الكبرى، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠١م.

٥ - **الأشعري**، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتر،الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت

٦ - **البخاري**، محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت٢٥٦): الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م.

٧ - **البلاذري**، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ): أنساب الأشراف، تحقيق: احسان عباس، جمعية المستشرقين الألمانية، بيروت، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م.

٨ - **بيضون**، إبراهيم: التوابون، الطبعة الثانية، دار التعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

٩ - **بيضون**، إبراهيم: ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩م.

١٠ - **الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي (ت٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ت)

١١ - **ابن تيمية**، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ): السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، الطبعة الأولى، وزارة الشئون الإسلامية والإرشاد، الرياض ١٤١٨هـ.

١٢ - **ابن جماعة**، محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ت٧٣٣هـ): تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق ودراسة وتعليق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٨م.

١٣ - **الجوهري**، إسماعيل بن حماد: الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٨٧م.

١٤ - **الحاكم**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٥ - **ابن أبي الحديد**، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ): شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

١٦ - **الحر العاملي**، محمد بن الحسن بن علي (ت١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ.

١٧ - **الحلي**، أبو منصور الحسن بن يوسف (ت٧٢٦هـ)، تحرير الأحكام، تحقيق إبراهيم البهادري، اشراف جعفر سبحاني، مؤسسة الصادق، قم، ١٤٢٠هـ.

١٨ - **ابن حزم**، أبو محمد علي بن أحمد بن الظاهري (ت٤٥٦هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ب.ت)

١٩ - **الحموي**، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٠ - **ابن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت٢٤١هـ): المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م.

٢١ - **الدينوري**، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتاب العربي بيروت، ١٩٦٠م.

٢٢ - **الذَهَبي**، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣م.

٢٣ - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ): تأريخ الإسلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ = ١٩٨٧م

٢٤ - الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي (ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٥ - الرضي، الشريف أبو الحسن محمد بن أبي أحمد (ت٤٠٦هـ): نهج البلاغة (خطب الأمام علي) شرح الشيخ محمد عبدة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (ب.ت)

٢٦- الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، الطبعة الأولى، دار الحديث، طهران، ١٤١٦ هـ

٢٧ - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت٥٣٨هـ): الفايق في غريب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م

٢٨ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ): تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م.

٢٩ - ابن شهراشوب، مشير الدين محمد بن على السروي المازندرانى (ت٥٨٨هـ): مناقب آل أبى طالب، الطبعة الأولى، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦م.

٣٠ - الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٤٨هـ): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٣١ - الشيرازي، السيد محمد الحسيني: الفقه (البيئة)، الطبعة الأولى، مؤسسة الوعي الإسلامي، ٢٠٠٠م.

٣٢ - الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ): الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ١٤٠٣

٣٣ - ابن طاووس، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (ت٦٦٤هـ): اللهوف في قتلى الطفوف، الطبعة، الأولى أنوار الهدى، قم، ١٤١٧هـ

٣٤ - الطباطبائي، السيد محمد حسين (ت١٤٠٢هـ): الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الثالثة مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٣م

٣٥ - الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ

٣٦ - الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ): الاحتجاج، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م

٣٧ - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١١هـ): تاريخ الأمم والرسل والملوك، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣٨ - الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ): التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٩هـ.

٣٩ - ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ

٤٠ - العاملي، جمال الدين يوسف بن حاتم المشغري (ت٦٦٤هـ): الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٢٠هـ.

٤١ - ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٤٢ - ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت٥٧١هـ): تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر بيروت، ١٩٩٥م.

٤٣ - العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥هـ): معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، الطبعة: الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٢هـ

٤٤ - علي، سيد مير: مختصر تأريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٧م.

٤٥ - أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ): تاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر)، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، ١٩٧١م.

٤٦ - الفيض الكاشاني، الملا محسن (ت١٠٩١ هـ): الوافي، تحقيق: ضياء الدين الحسيني، الطبعة الأولى، مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة، أصفهان ١٤١١هـ

٤٧ - الفيض الكاشاني، الملا محسن: التفسير الصافي، تحقيق: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الثانية مؤسسة الهادي - قم، ١٤١٦هـ

٤٨ - القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٣٨هـ/١٩٦٤م.

٤٩ - قطب، سيد ابراهيم حسين الشاربي: في ظلال القرآن، مصر، الطبعة ١٧، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٢م.

٥٠ - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية تحقيق: علي شيري الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ = ١٩٨٨م

٥١ - الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ): الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٦هـ.

٥٢ - المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩.

٥٣ - المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ): بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م مسلم، **٥٤ - مسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ): الجامع الصحيح المسمى (صحيح مسلم)، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت (ب.ت)

٥٥ - المفيد، الشيخ محمد بن النعمان التلعكبري (ت٤١٣هـ): الإرشاد، الطبعة الثانية، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤ = ١٩٩٣م

٥٦ - ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت٧١١هـ): لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.

٥٧ - ابن نما، محمد بن جعفر بن أبي البقاء الحلي نجم الدين (ت٦٤٥هـ): مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية النجف الأشرف، ١٩٥٠م.

٥٨ - النووي، الحافظ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرِّي (ت٦٧٦هـ): روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥٩ - ولهاوزن، يوليوس (ت١٩١٨م): الخوارج والشيعة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الجليل للكتب والنشر، القاهرة ١٩٩٨م.

٦٠ - ولهاوزن، يوليوس: تاريخ الدولة العربية.. من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة حسين مؤنس، لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، ١٩٦٨.

٦١ - اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ): تاريخ اليعقوبي، دار صادر بيروت (ب.ت)